○ المربد التاســـع . . . وحديث الشعـــر

عبـــــد الله خيـــــرت

الفرح كان وجه المربد التاسع فى بغداد هذا العام ؛ برنامج المهرجان كان يدعـو الضيوف إلى زيـارة معرض بغـداد للفن التشكيلى ، وزيارة « الفـاو » المحررة ، ومشـاهدة العـروض المسرحية والسينمائية ، بل دُعينا إلى مشاهدة عرض للأزياء .

وكان هناك برنامج آخر للفرح لم تُعدة وزارة الثقافة ولم تحدد له وقتا ، برنامج عفوى يشع بالبهجة ؛ ففى بهو الفندق كانت تخطر ـ بين الدَّل والخفر ـ عـروس جديـدة ربما خمس أو ست مرات فى الليلة ، وكان المحتفلون يفاجأون بالشعراء والأدباء وهم يصفقون مشاركين فى الفرحة ، وفى شارع السعدون كانت أبواق السيارات ودقات الطبـول والزغـاريد تعلن عن أفـراح أخرى .

أليس من الطبيعى أن يفرح الناس ؟ ربما لأننى كنت هنا فى العام الماضى فى وقت كانت الحرب فيه مشتعلة ، وكنت أجيب على الابتسامات المرحِّبة بوجوم ، وألوم نفسى لأننى لم أستطع أن أنظر إلى الأطفال الصغار وهم يغنون « نحن أطفال بلاط الشهداء » وحين وقفت مع الجنود فى أقـرب نقطة من جبهـة القتال فى قلب الموت اكتشفت أن كل المخاوف التى أفسدت حياتى كانت أوهاماً .

وسط فرح هذا العام ، وفى حفل الافتتاح ألقى نزار قبانى قصيدته الطويلة ، كان أول شـاعر عـربى يفتتح المهـرجان ، وقـوبل من زمـلائه الشعـراء ، ومن الحضور جمعياً استقبالا حاراً ، هكذا بدأ نزار قصيدته :

قُل لحبيبى فى بغداد بأن يتبغدد
قل لعيون البصريات بأن يمطرن علينا
مطراً أسود :
قل للنخلة أن تتمشط عند النهر
وقل للوردة أن تتورد .

وظـل الشاعـر يتخلص من غرض إلى غـرض ؛ فهو ابن لهؤلاء الشعراء الكبار الذين سبقوه إلى المربد ووقعوا ألحانهم المتنوعة ، وهو مثلهم لم يفرض عليه موضوع القصيدة ، فله أن يقول ما يشاء . .

إننى أتوقف عند قصيدة نزار قبـانى لأنها أول قصيدة ، ولم نكن نعـرف ولا هو يعـرف مـاذا سيقـول بعـده الشعـراء ؛ فقصائدهم لا تزال فى جيوبهم ، ولكنهم مستبشرون لأن واحدا منهم جعل منه الشعر نجما ساطعا فى السماء العربية .

وصل نزار فى أغراضه إلى غرض الشعر والشعـراء ، وهو يتكرر كثيراً فى قصائده فقال :

طرد المربد ـ هذا العام ـ ثلاثة أرباع الشعراء
ألقى القبض على من يشتغلون . .
ببيع اللحم الفاسد فى السوق السوداء
قتل الأعشى والخنساء

كسر المربد هذا العام عمود الشعر
وضع النقطة فوق السطر
كسر الشكل المعمارى
وكسر الإيقاع الحجرى

طرد الشعر الجاهز منذ القرن الأول
فوق رفوف الثلاجات
ألغى البيع وألغى الرهن
وألغى استئجار الكلمات

وفى هذا الوقت الذى كان فيه نزار يصيح : « طرد المربد » . . كان الشعراء يتوافدون على قاعة الاحتفال تستقبلهم ابتسامات حارة مرحبّة تنقض ما يدعيه الشاعر أو ما يطالب به .

ألم يكن من الطبيعى أن يصبر دقائق أخرى حتى يلقى زميله محمد الفيتورى قصيدته فى حفل الافتتاح أيضا ، فيرى الفرق الكبير ـ وكلها لغة عربية ـ بين قوله هو :

ذهب الفرس ، وجاء العرس

بهذا التقرير والجفاف وعدم التوفيق فى اختيار الكلمات ؛ لأن الفرس لم « يذهبوا » وإنما هُزموا . . دُحروا . . تجرّعوا السم ، حسب قولهم فى البلاغات العسكرية وليس الشعر .

كان على نزار قبانى أن يقارن قوله هذا بقول الفيتورى عن هذا الموقف ذاته :

كل ما كان بالأمس ، أن المغول أتوا
فى الدجى ، ومضوا فى المحاق
كل ما كان أن التوابيت عادت بأمواتها
خائبات السباق

أو يصبر حتى يرى كيف يتخلص الفيتورى من غرض إلى غرض ، أو فى الحقيقة يربط غرضا بغرض فيجعل الهموم العربية الكثيرة هما واحداً . . فالنصر الذى تحقق فى العراق يذكّر بأن هناك أجزاء أخرى من الوطن العربى ما تزال دماؤها تراق ، وهل تنسى فلسطين وسط فرحة النصر :

وتقيم المقادير فيك احتجاجاً ، على وطن أبدّى الوثاق
ضاع بين صراع المماليك والأغوات ، وفرسان عصر الوفاق
حجبوا الله ، والشمسَ ، والحب عنه
فأصبح سجنا كبيراً ، وضاق

أو كان عليه أن يصبر أياماً ، حتى يستمع إلى الشاعر يوسف الصائغ ، وهو يتحدث عن تجربة الحرب شعراً وليس هتافا :

فى حُلمى . . خيِّل لى أن استشهدت
ورحت أراقب نفسى
كنت لبضع ثوان منتشياً
أهمس : الله لهذا الموت العذب !
مجرد أن تذهب ـ فى الحُلم ـ إلى الحرب
وتستشهد !

أو إلى الشاعر شوقى بزيع ، وهو يتحدث عن لبنان ، يكاشف أصدقاءه من الشعراء بأحزانه العميقة :

أبصُر شمسا محطَّمة
وقرى تمَّحى
وقلبا يرفرف كالراية المظلمة
وأرى الشىء يمشى إلى عكسه
وأرى كيف تكون الأكفُّ محاربةً
والأصابع مُستسلمة

ولو كان قد تجوَّل بين حجرات الفنادق التى يقيم فيها الشعراء لسمع شعراً ، بعد انتهاء الندوة الليلية للشعر ، من شباب جمعهم المربد فى بغداد من مدن الوطن العربى وقراه الصغيرة ، وأنهم بلغوا فى التجريب والمغامرة جداً يدهشنا ـ هو وأنا ـ من ذلك المستوى الرفيع الذى يمكن أن تصل إليه لغة الشعر .

الغريب أن الشاعر نزار قبانى لم يدَّع أن المربد طرد ثلاثة أرباع شعراء هذا العام فحسب ، وإنما كذلك :

قتل الأعشى والخنساء !

إن هؤلاء الشعراء القدامى الذين قتلهم نزار قبانى ، لا يستطيع واحد منهم أن يقول شعراً أو نثراً :

وضع النقطة فوق السطر

فإذا كان الحديث عن عيون الجميلات التى تنهمر منها الدموع فرحاً أو حزنا لم يخطر لأحد هؤلاء الذين يزعم نزار أن المربد قد قتلهم أن يقول :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يمطرن علينا مطراً أسود

وإنما يقول كما قال قيس بن الحدادية :

فأرخت على فيها النقاب وأسبلت
وأمعَنَ بالكحل السحيق المدامعُ

ولم يعرف الحاضرون ما جريمة الخنساء بالتحديد ، إلا أن تكون القافية المتحكمة هى التى قتلتها ، وكأن قتل أخيها وأبنائها ليس كافيا ، لأن اسمها جاء بعد هذا الكلام :

أحرق (أى المربد) كل تمارين الإنشاء
ألغى كل البوتيكات ، وألغى استعراض الأزياء

ولكن المحتفلين على كل حال ، فهموا الأمر على حقيقته ، وعرفوا أن هذا اللقاء السنوى ، فى الحرب والسلم ، فرصة للتعارف ولتجديد الحب ، وأدركوا ـ أو أدرك الشعراء منهم ـ أننا نقيم مهرجانا كبيراً للشعر فى ساحة المربد الرحبة ، وعلى كل شاعر أن يقدم نفسه كشاعر متميز أمام هذا الحشد الكبير من المثقفين العرب وغير العرب ، وأنه كذلك حر فى قول ما يشاء ؛ فالموضوع المطروح فى هذه الساحة هو الشعر فحسب .

من هنا جاءت بعض القصائد جيدة واستعادها الحاضرون ، حتى والشاعر يتحدث عن تجربة خاصة ، أو يحكى هموم وطنه التى هى جزء من هموم الوطن الكبير .

وأدرك بعض الشعراء من مصر والعراق والمغرب وتونس ، أن شعرهم ليس جماهيرياً ؛ فمغامراتهم الجريئة فى التعامل مع اللغة ، وفى بناء القصيدة أو تحطيمها ، من الصعب أن يتجاوب معها الناس مهما بلغت رقتهم وحسن استماعهم ؛ لأنها قصائد لا تنشد وإنما تقرأ وتناقش . لذلك اكتفى هؤلاء بقراءة الشعر لبعضهم فى الحجرات الدافئة ، وكانت أصوات استحسانهم أو خصامهم يتردد صداها فى الممرات الطويلة وتصل إلى جيرانهم .

ولكن بعض الشعراء ، أو فى الحقيقة أكثرهم ، فهم أن حرية الشاعر مطلقة لا حدود لها ، فإذا لاحظ الاستماع المهذب ، أو تصفيق المجاملة ، ظن ذلك استحسانا ، فأعاد ما قال ، وهو فى الأغلب طويل يغنى بعضه عن بعض ، بل إن واحداً من هؤلاء حمّلنا ـ نحن المستمعين ـ مسئولية أن صديقه وضع أمامه جهازاً لا يسجّل ، فلما اكتشف ذلك سألنا هل يعيد القصيدة من البداية ؟ وأجبناه بضحكات مندهشة : لا . . ومع ذلك لم يسمع ، فقال قصيدة أخرى .

إنه من الطبيعى ـ ونحن عرب كرماء ـ ألا يقُاطع متحدث ، ولكن الشاعر العربى الذى التقى وهو يتعلم الشعر بقول أجداده المأثور « لكل مقام مقال » كيف لا ينتبه إلى حقيقة أن الوقت محدود وأن عشرين شاعراً على الأقل يريدون مثله أن يسمعهم الناس فى هذه الأمسية ؟ وإذا كان للشاعر الحق فى أن يختار موضوع قصيدته ، أليس طبيعياً أيضاً أن يملى عليه حسه الفنى ومشاعره الرقيقة موضوعاً يتجاوب معه الجمهور الخاص الذى يجلس هنا ويتلقاه برضى ؟ .

كثير من شعر هذا العام لم يراع فيه أصحابه مقتضى الحال ، وأكتفى ببعض النماذج ، ولن أذكر أسماء الشعراء ؛ فالهدف هو أن نحتكم إلى القارىء فى هذه النماذج ، لا أن نحكم على الشعراء الذين لهم بلا شك شعر أفضل من هذا ، وربما يكون هذا الشعر الذى نجتزىء بعضه جيداً لو ألقى فى سياق مختلف ، وفى وقت مختلف .

شاعر يتذكر صديقه الغائب :

تعدو بعيداً
تفارق ثدى أمك
تتحسس عينيك
تُدمن البنات من أول الحيض
كنبيل من عصور الكتب
تدوّن من لحم أوجاعك ميقات أوجاعنا
تفتش عن بعض القروش
تدعو الجميع إلى كوب شاى ! .

وشاعرة تتحدث عن شهيد فلسطينى :

يا خالتى أخشى على أصحابه أن يدمعوا
إن اليهود تجمعوا
حول الزفاف
لكى يقال عن الشباب
انفض سامرهم .

وشاعر يتحدث عن طفلة :

فإذا أتتْ ألفيتنى
للقائها متشوقاً
فإذا مضت ألفيتنى
لفراقها متمزقاً
وهكذا . . . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السؤال الذى حيرنى هذا العام أيضا ، حتى بعد أن استمعت إلى الشعر الجيد ، وبعد أن تجولت مع أحد الأصدقاء فى بغداد القديمة ، وعشنا معاً تاريخنا العربى من جديد ، هو : ألا تكفى سنة كاملة لكى يكتب الشاعر الحريص على أن يلقى شعره أمام الناس ، قصيدة جيدة ؟ قصيدة يظل يتعهدها ، ويقيم أودها وسنادها ، حتى يدور العام ؟ .

لقد كانت هناك ألوان أخرى من النشاط فى مربد هذا العام ، كانت هناك الحلقات الدراسية ، والنقاش المستمر حول الشعر العربى ، وكانت هناك عروض فنية كثيرة . . ولكننا جميعاً حين نقول أو نسمع كلمة المربد فإنما نعنى الشعر بالتحديد ، ومن أجل ذلك كان تركيزنا على قصائده الجيدة وغير الجيدة وسكوتنا عن تلك القصائد التى ليست جيدة ولا سيئة ، فماذا يمكن أن يقال عن هذا النوع من الشعر ؟ .

القاهرة : عبد الله خيرت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قـــراءة فى ديـــوان الخـــروج من الـــدائرة لـلشـــاعـــر خـــلـيـــفـــة الوقيـــان

د. حســـن فـــتح الـبـــاب

منذ بضع سنين ترددت على صفحات مجلاتنا الأدبية وفى الحيّز الضئيل الذى تخصصه أكثر الصحف للأدب والثقافة وفوق منابر الملتقيات الأدبية والأمسيات الشعرية وما يتخللها أو يعقبها من مناقشات ، مقولة تذهب إلى أن العصر هو زمن الرواية ، وعفاء على الشعر ، وذلك يذكرنا بالأبيات المشهورة التى أطلقها حافظ ابراهيم على لسان اللغة العربية رثاء لحالها .

وما زالت تلك المقولة الظالمة تسك الأسماع ، وهى لا تعدو أن تكون وهما وحديث خرافة .

ومن المستغرب أن يقول روائى وناقد عربى كبير بدأ شاعرا وهو الأستاذ جبرا إبراهيم جبرا :

« فى دراستى الجامعية وفيما بعد كان ما كتبته كله منصباً على الشعر ، كنت أكتب شعراً أو نثراً ، لكن فى السنوات العشر الأخيرة أدركت أن هذا الأدب ينصرف إليه الشباب فى أول عمرهم ، فالشعر أقل شأنا من الأنواع الأدبية الأخرى ، وهذا يعنى أننا لسنا فى عصر الشعر قط » .

ويقول فى موضع آخر :

« إن الحضارة المدنية تحارب الشعر وتحول الطاقة الشعرية إلى فنون أخرى كالرواية مثلا ، فكلما كبرت المدن العربية قل أثر الشعر أو ندر ، أقول بصراحة إنه ليس للشعر عندنا مستقبل مطلقاً .

وبين يدينا ديوان جديد بعنوان (الخروج من الدائرة) للشاعر العربى الكويتى الدكتور خليفة الوقيان . ولقد جاء فى موعده ــ مع غيره من دواوين مرموقة ـ ينفى نغمة الوقفة الطللية عن شعرنا الحديث ، ويثبت الشروط التى ينبغى توافرها للشعر كى يمتلك شرعية صوته وكينونته ، ويؤكد أن الشعر فى الوطن العربى مازال بخير ، وأنه لا يقل عن الرواية فى مسيرة التطور بل إنه الأسبق فى تلك المسيرة ، وله المستقبل فى إثراء الوجدان القومى والإنسانى وتغيير الواقع الكئيب الذى يراد أن يفرض علينا .

وقصائد الشاعر وثيقة فنية للمنعطف التاريخى الذى تمر به الأقطار العربية الآن ، ودليل على قدرة الشاعر المبدع على الرصد والتجاوز ، بمعنى امتلاك الرؤيا الواعية المرهفة من بين ركام الأحداث ، واستشفاف أضواء الغد من غيوم الحاضر المنبهم ، عبر جدلية من ثلاثية الزمن : الماضى والحاضر والآتى ، وتضافر بين الواقع المادى والواقع المتخيل ، فى نسيج مجبول من الشكل قالباً وأسلوباً وإيقاعاً ، والمضمون فكراً ورؤيا متفجرين من الحساسية النفسية والحساسية اللغوية .

ولولا أن الشاعر الوقيان موهوب ، واع برسالته فى البوح للجيل الحاضر والأجيال القادمة ، لما استطاع أن يقدم هذه التجربة الفنية الفريدة فى صدقها وجسارتها وإضافتها الثرية لديوان الشعر المعاصر ، بما تعبر عنه من هموم الضمير العام المتمثلة فى بؤس الحاضر البغيض ويأس الثوار عليه فى قدرتهم على التقاط الخيط الأبيض من الخيوط السوداء ، ودحر العنصر المتخلف ، والانتصار للعنصر النامى كى تستمر الحياة ونصبح جديرين بالانتماء إلى عالم أكثر حرية .

يزخر الديوان بالمشاعر الجياشة بين المرارة التى تكاد تبلغ أحياناً حافة الاكتئاب ، والسخرية اللاذعة التى تطعن أو تخز ، فتجرح حتى تكاد تدمى أو تجرح ولا تدمى . ولكن الشاعر لا يسقط فى مهاوى الإحباط ، لأنه مدرك دورة النهار والليل ، بصير بحتمية غلبة الحق على الباطل وإن طال المدى .

والقصيدة عند الوقيان تكوين جمالى متسق وبناء محكم بخيوط دقيقة . وقد جاء هذا البناء الشعرى المتقن وهذا النسيج المضفور لغة وتصويراً أو إيقاعاً ثمرة للتمرس والخبرة الطويلة من طريق تجويد العمل بأدوات الإبداع ومداومة الاطلاع على التراث الأدبى والشعرى خاصة ، والتراث التاريخى والمعرفى عامة للأمة العربية ، وهو اطلاع الناقد المتبصر بمواطن الإشعاع والقدرة على التميز بين القيم الرفيعة والنماذج المتخلفة .

ومن السمات البارزة فى ديوان (الخروج من الدائرة) صفاء العبارة ونقاؤها ، وإذا كان ثمة غموض فهو الغموض الفنى البعيد عن التعقيد والإبهام . فلا أقذاء تغشى عين الشعر ولا نتوءات تعترض مجراه ، وإنما انسياب متسلسل إحساساً وفكرة وصورة وموسيقى ، فكأنّ أبياته مرايا مصقولة .

وهكذا تجمع قصائد الديوان بين الشفافية والعمق دون حشو أو فضول يبعث الملل فى نفس المتلقى مما نلحظه فى غير قليل من الشعر المعاصر .

ويقدم خليفة الوقيان فى (الخروج من الدائرة) نموذجاً للمعادلة الفنية العسيرة ، وهى الجمع بين التراث والمعاصرة ، فهو يطلق من الأول ليصب فى الثانية ، فالتجديد عنده مشروط بألاّ يتجاوز النقطة الفاصلة بين الذوبان فى البدع المستحدثة شكلاً أو مضموناً من خارج تراثنا العربى ، وبين التجديد المتصل بالجذور عبر مسيرة تطورية مستمرة دون انقطاع ، فلا تقليد ولا جمود ، ثم لا قفز فى فراغ المجهول الذى يشبه المتعلّقُ به المنبتّ ، فلا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى .

والحداثة التى تطالعنا فى الديوان لا تنفصل عن روحنا وقيمنا العربية فى الإنتاج الحضارى عامة والأدبى خاصة ، وهى نقيض لتقليد « الصراعات » المستجلبة ، والتى لا تعدو أن تكون ردَّ فعل للدخيل .

لقد جاء ديوان (الخروج من الدائرة) فى أوانه ، بوصفه خروجاً من دائرة الشكلية الجوفاء التى يدعو إليها بعض النقاد المبهورين بالابتداع لا الإبداع الحقيقى ، ويطبقها المتشاعرون فنحس إذ نقرأ لهم بوقع « الكوابيس » من فرط تخليطهم وتحويلهم الشعر إلى رطانة أعجمية وأحاج ما أنزل عالم الشعر بها من سلطان ، وما درى هؤلاء وهم يلهثون فيما شبه لهم أنه الحداثة التى تفتح لهم باب العالمية أن الأجنبى يرفضهم إذ يقرأ ترجمتهم إلى لغته قائلاً : تلك بضاعتنا ردت إلينا ، إن نريد إلا التواصل مع الحقيقىّ ، معكم ، من طريق ما يميزكم عنا من ذوات وسمات ، فنثرى بكم وتثرون بنا تبادلاً فى الأخذ والعطاء .

فإذا خرجنا من دائرة التنظير إلى التطبيق عبر قصائد الديوان الخمس عشرة ، أدركنا منذ القصيدة الأولى (من مذكرات حمار) كم يصدمنا شاعرنا الحزين بمفاجآته النفسية والذهنية ، فليس أدل على سعة الأفق والإيمان بوحدة الوجود إنسانا وحيواناً ونباتاً وجماداً من اقتحامه عالم القارىء بالحديث على لسان الحمار ، هذا الكائن الكادح المثابر فى خدمة ابن آدم ، كى يحرك كوامن هذا المتلقى ويستل منه البقعة البيضاء التى تستتر فى أعماقه المظلمة ، وسخريةً من غروره وإشفاقاً عليه من جموده وقساوته :

جئنا معا
حين اشتعال الماء والصلصال
فى الزمن الوليد
صنوين كنّا
نصطلى لهب السعير
نشقى
نفتش عن فراش
عن معاش
نتقى غضب الرياح
فى الصيف تحرقنا
بماء النار
تلفحنا صقيعا .
حين ينهمر الشتاء

هكذا يدخلنا الشاعر فى غير جلبة ولا تصنع عالم الخليقة الأولى فى طهره وبراءته قبل أن يتحول الآدمى إلى كائن ظلوم كفار .

وإذا كان الأديب الأسبانى خومنييث وتوفيق الحكيم قد استوحيا الحمار عملين فنيين راقيين ، فإن الرؤية عند خليفة الوقيان لها خصوصيتها ، لأنها رؤ يا شاعر تقطر أبياته تعطفاً مع المستضعفين الذين يمثلهم هذا الحيوان الذى يعطى بلا مَنّ ولا أذى ، ونقمة ساخرة على أهل الطاغوت المارقين من سماحة الفطرة التى خلق الإنسان عليها وبدلوها تبديلاً .

إنها الدعوة إلى العودة إلى الجذور ، إلى الينابيع الصافية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأولى ، دعوة الأنبياء والحكماء والشعراء الكبار ، فعين الشاعر الباطنية على ما يملأ الكوكب الأرضى حولنا وفينا من شرور وآلام يعجز عنها الوصف . ورؤيته هذه غير ميتافيزيقية وإن استوحت الميثولوجيا ولكنها المثالية التى تنبثق من صميم الواقع لتجاوزه ابتغاء التغيير والتنوير .

ومن ثم يعزف الشاعر على وتر التناقض بين عالمين هما الأثيرى والطينى بأسلوب يشف رقة ويُبدع تصويراً ، فنجد أنفسنا فى عالم لا هو بالواقعى البحت ولا بالسيريالى المحض ، بل هو مزيج مركب منهما خلاق لعالم آخر هو عالم الفن .

واللغة التى ينسج منها الشاعر لوحته غير قاموسية إذ يفجر شحناتها الكامنة بإشارة الجدل بين النقائض ، فلا يقول إن النار تلفح كما هو مألوف بل يراها ماء محرقاً ، وصقيعاً يلفعنا .

وفى المقطع الثانى يقول :

وظمئنم
وتشققت قِرَبٌ لكم
وتيبّست أحشاؤكم
فأتيتكم بالماء من أقصى البقاع
بالنار
بالظل الذى تتفيؤون

وتبدو الحساسية اللغوية فى هذا المقطع حين يقول (قِرَبٌ لكم) لا (قربكم) ، على خلاف فى ذلك مع اقتران الضمير المخاطب بالاسم فى (أحشاؤكم) لأن القِرَب ليست جزءاً من المخاطبين مثل الأحشاء . كما تبدو فى استخدام (الظل) بدلا من الشجر . ولا تقل حاسة اللمس رهافة عن حاسة الإبصار فى وصف الأشياء كى تتشكل الصورة ، فكأن الشاعر نحات ومصور مبدع فى تكوينه ثلاثية الماء والنار والظل بين الإحساس بالظمأ وبين الإحساس بالارتواء :

ويكاد الحمار يتحول فى رؤية الشاعر إلى مخلوق أسطورى لا يمشى على الأرض ، بل يطير بجناحين حاملاً النار مثل بروموميثوس .

ولا يكتفى شاعرنا بالاقتباس من القرآن الكريم ، بل يوفق فى استخدام الإيقاع القرآنى فنشعر بالتقفية والروى رغم عدم وجودهما ، ويتبين ذلك فى ختام المقطع الثانى والثالث والرابع :

وبقيت وحدى
أطوى القفار الموحشات
يقصم الحَجرُ الذى حُمِّلتُ أضلاعى
يخضّب نزف أقدامى التراب
ورفعتم الحجر المخضّب من دمى
قصراً مشيداً

*

وبقيت وحدى
أحرث الأرض الجديبةَ
تستفيق على يدى
حقلاً نضيراً
قمحاً يهدهد جوعكم
بقلاً وفاكهة
وكرما تعصرون .

وقد أشاع الاستقاء من المعين القرآنى لغة وصورة وموسيقى عبيراً فى ثنايا القصيدة ، ولا سيما الإيقاع الداخلى الذى يثرى التكوين الشعرى ويجد فيه عشاق القصيدة الخليلية ذات القافية الواحدة ضالتهم ، كما يأنس بهذا الإيقاع متذوقو الموسيقى فى النمط الذى يعتمد على وحدة القرار الذى يربط أجزاء العمل الفنى . وقد يجد المولعون بالموسيقى بغيتهم لدى الشاعر فيما يتقنه من تصعيد نغمى موافق للذبذبات الشعورية والفكرية وتنامى الصورة حتى الذروة .

ولكل مقطع ذروة حتى إذا بلغنا المقطع السابع وهو آخر مقاطع القصيدة ، طالعتنا الذروة العليا :

أنكرتمُ صوتى
نعم
أنا أنْكَرُ الأصوات صوتى
حين ترتجف الشفاه
أنا أنكر الأصوات
حين الهامة الغبراء تصدح
فى الرياض اليانعات
وتطرّز الغربان أنداء البراعم
بالنشيد
وتلوذ بالقفر البلابلُ
تندب الحلم الشريد
فى مهرجان الليل
تنكر فى المرايا
والسبايا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والجوارى الراقصاتُ
على التكايا
والدفوف البُكْم
والناى الهجين

فهى ذروة قصوى لأنها عصارة السخرية المرة لآدمى عصرنا الذى يتشح فى الليل بأردية المهرج أو هارون الرشيد كما تصوره قصص ألف ليلة وليلة تصويراً يجافى الوقائع التاريخية ، أو لنقل إنه شهريار . والختام ذروة لأنه تعبير عن شدة التناقض ، فالحمار وهو رمز الفقراء العاملين موصوم بأنكر الأصوات ، فى حين يتقلب أرباب النعم المترفون فى نعيم الرياض اليانعات رغم هاماتهم الغبراء . إنهم ينعقون مثل الغربان ولكن أصواتهم المشئومة أناشيد فى أسماعهم هم ومريدوهم من حاشية السّوء والمأجورين . . هم يتفيؤون ظلال الفردوس الأرضى ولا يجد البلبل نقيض الغراب مكانا يلوذ به إلا القفر ملجأ أو منفى يندب فيه أحلامه الضائعة .

ويمتاز إيقاع القصيدة بالرنين ودقات الموسيق التى تشبه دقات المسرح إذ تخترق الصمت كأنها طرقات احتجاج على سكون الأموات أو ضجيج الأحياء أشباه الأموات ، ومع ذلك فإن هذه الموسيقى الشعرية تخلو من الجهارة والطنين الأجوف لأنها تأتى من العمق البعيد .

وحين نتمعن فى الجانب الفكرى للقصيدة نتساءل عما إذا كان الشاعر يعنى بخيانة الآدمى للحمار ، وقد كانا رفيقى رحلة الكدح والبناء ــ خيانة الإنسان المترف للإنسان العامل العانى استغله شر استغلال وجزاه جزاء سنمار ، إذا اغتصب ثمرة جهده ثم أهانه وعذبه ومازال يسومه سوء النكال .

إن خليفة الوقيان يملك لغته الخاصة كما يملك عالمه ، وهو عالم مشترك بينه وبين أصحاب الحسّ القومى المؤمنين بالانتماء إلى العروبة ، وهى عروبة غير شوفينية متعصبة مغلقة ، بل إنسانية منفتحة على كل ما هو نبيل وجميل وجليل فى الحضارة البشرية .

ومن ثم يؤرقه ليل العذابات الطويل الذى يحول دون بلوغ النهار العربى ، ومناخ الرداءة الذى يغشى الأفق من جراء عوامل القهر والاستغلال التى تقف عقبة كأداء دون انطلاق الإنسان العربى ، فرداً وجماعات ــ لكى تزدهر مواهبه ويصبح أقدر على المشاركة فى بناء عالم أكثر حرية وعدلا وأمنا .

وهكذا تأتينا القصيدة الثانية فى الديوان وهى (تعويذة فى زمن الاحتضار) بلورة من الشعر تشع رفضاً لهذا الزمن وثورة عليه ، فهو ينسج من حصيلة المرحلة الرومانسية بجمالياتها الرقراقة مفردات وصورا يوظفها من جديد ليضرم فيها لهب العاطفة المتأججة ويفجر التناقض بين غنائياتها وبين نعيب الحاضر الزرىّ ، كأنما يقتحم عالم المنعمين ويفتح العيون الحالمة على هول الكارثة المحيطة بهم وهم لا يشعرون .

يتجلى ذلك فى اختياره صيغة النداء الصارخ (تفجر) وتكريره فى مستهل كل مقطع كأنه صوت النذير ، ممارساً إحدى الوظائف الأساسية التى يقوم بها الشاعر منذ أقدم العصور فى التنبؤ بالويل الذى ينتظر قومه ما لم يتبصروا فيما تحت أقدامهم وما حولهم وما فى أنفسهم من نذر يتطاير شررها ثم ما يلبث أن يتحول إلى دوائر من شواظ الجحيم :

تفجر
أيها الغضب المهجرُ
أيها الألق المغيبُ
فى المدى المخنوقِ
فى الأفق المعفر .

تفجّرْ
تفجّرْ
إن دود الأرض يزحف
والدّبا المسحور يحصد حقلك الأخضر
جداولك التى تنساب موسيقى وأغنية
تهدَّمَ جرفُها أغفت على أشلاءِ أمنيةٍ
نأى عيد ليلها المزهر
ووجه الشمس يعتمُ
تنسج الغربان فى قسماته رؤيا ظلاميّه
يعشّش للعناكب فى أخاديد السنا المقتول
ليلٌ شأنهُ أغبرْ .

وما إن نصل إلى المقطعين الثالث والرابع حتى نكشف المأساة الذاتية للشاعر بعد أن مهد لها فى البدايات ، ونتبين أنه لا انفصال بين الهمّين الذاتى والجمعى ، فكلاهما نبت شجرة واحدة ، تلك هى الشجرة المسمومة التى لا نجاة منها إلا باستئصال خبيثها كى لا توءدَ البلابل ويستطيل ريش الغربان وتمتص الأفاعى رحيق الزنابق وتلوث الجداول الرقراقة .

إنها المراودة الشَّرَك الذى تنصبه الذئاب للإيقاع بالحمائم ، باسم الدين تارة وباسم الأمن والاستقرار تارة أخرى :

قد ذبحت الآن مرات ومرات
تراودك الذئاب السُّودُ
تسرق منك نبض الروحْ
تناوش لحمك المهدورَ
أشتاتُ السباع . . النملُ
تشرب نزفك المسفوحْ
وللجزّار شوق عارم للنحرِ
للسكّين نصل جائع يزأرْ

*

تفجَّرْ
إن أفعى الدار تخرجُ
من شقوق . . صخورِ جدرانكْ
ثقوبُ عريشيك القشنّ
نسيج عريشك الهشّ
تلُوب . . تسنُّ حدّ الناب
تنفث سمّها الأصفرْ
تمجّ النار فى أزهار بستانكْ
تصوّح غرسك الأخضر .

نغم يتدافع كالجمرات المتطايرة ، كالشظايا ، كالرياح المتناوحة ، كحجارة الانتفاضة الفلسطينية وكلما تسارع دبيب الكيد الأفعوانى ، وتسلل الشبح الشيطانى يغطى وجه الشمس ، خارجا من داخلنا ، من نسيجنا ، استصرخ الشاعر بضمير أمته الشرفاء فيها ليهبوا من رقدتهم التى طالت قبل أن يحين حينهم . إن ضمير المخاطب الذى يستعمله الشاعر موجه إلى نفسه ، ولكنه يقصد به هؤلاء الشرفاء من الأحرار المتمردين على القيد والخديعة . وقد جاء هذا المقطع الختامى قمة الموجات المتتابعة فى تنامٍ درامى ، ولا يؤخذ على القصيدة إلا أنها لا تلتزم بهذا التنامى فى بعض المقاطع ، إذ حال التكرار ، وإن تجددت الصور دون استمرار التصعيد . فتجىء نهايات المقطعين الثانى والثالث أعلى موجة من المقطع الرابع .

بيد أن الشاعر يستجمع قوته فى الختام فيصدمنا بمرارته وسخريته القاسية ليحرك المكبوت فينا وهو يفضح الأصنام ويعرّيها مما تسترت خلفه من زخرف مموّه :

تفجَّرْ
إنّ ليلاً قاتلا يطوى المدى
يجزّ أعناق النجوم . . البدرَ
يسقى شفرة الخنجرْ
يجىء . . يطُلّ
محمولاً على اسم الله ــ جلّ الله ــ
يرقى سُدّةَ المنبر

وتبلغ غضبة الشاعر أقصاها فى قصيدة (الطاعون) حتى يكاد يتمزق تمردا وثورة لولا ذلك الختام الذى يحشد فيه خبرته بسحر الحرف والموسيقى الداخلية ليأتينا فى نسق شاعرى يتذكر فيه مباهج الطبيعة وكائناتها الجميلة ، كنقيض لجيف الغابة وزرق أنياب الذئاب ، ويعتصره الألم :

أرفيق الدرب العاصِف
والقلب النازفِ
والحرف الراعفَ بالدمّ
أكتب بمداد الشريانْ
وحى الإنسان إلى الإنسان
أطلقْ نجمات الصيف المحبوسة فى القضبان
افقأ بالنور عيون الغربان
فالليل ثقيل
والدرب طويل

أما رائعة الديوان فهى (مذبحة الفواكه) التى تستحق دراسة قائمة بذاتها . وقد كتبها الشاعر بعد عام من الحادث الإرهابى المروع الذى فجرت فيه المقاهى الشعبية الكويتية بمن فيها فى يوليه ١٩٨٥ ، فجاءت القصيدة ثمرة اختمار طويل مما أضفى عليها مسحة من الشجن الكظيم الدفين الذى يتسلل خافتا فى نفس المتلقى ، فيتحد مع المبدع فى مشاعر الحزن والنقمة التى لا يركز عليها الشاعر كما فعل فى القصيدة السابقة ، لأن تصوير الفجعية يغنى عنها فلا تحتاج إلى وصف ، فالحزن الشفيف أبلغ من التصايح ذى الجرس الجهير .

وقد اختار خليفة الوقيان عدة شخصيات لينسج من خلال ما كانت تنعم به من صفو الحياة وبهجتها وما آلت إليه من أشلاء مدماة بعد أن دمرها بالحريق أعداء الإنسان دون أن تأخذهم أدنى شفقة بهؤلاء الأبرياء . وأطلق الشاعر على هذه الشخصيات أو النماذج البشرية أسماء لربطها بالواقع المعيش حتى ينغمر المتلقى فى جو الحدث .

وأولى هذه الشخصيات شيخ من صيادى اللؤلؤ قبل عصر النفط فى الكويت ، هؤلاء الذين ألهموا الشاعر ديوانه الأول (المبحرون مع الرياح) سنة ١٩٧٤ الذى يمثل تجربة شعرية

رائدة فى موضوعه . . وإتقان تصوير هذه الشخصية المكثفة الملامح الخارجية والداخلية فى بضعة أسطر يدل على أن النار التى استعرت فى قلب الشاعر منذ اثنى عشر عاماً مازالت كامنة ، فما إن مست أصابعه ألسنة الحريق الذى دمر المقهى ومريديه البسطاء حتى انتكأ الجرح القديم وكاد القلب أن يتصدع . ولكنه كتم مواجده عاماً وبعض عام ثم كتبت القصيدة نفسها على نار هادئة ، فكانت إحدى العلامات المتميزة فى المسيرة الفنية للوقيان .

وسر هذا التميز هو الغوص فى أعماق النفس البشرية من خلال تلمّس روح الطبقة الشعبية والمشاركة فى رحلة العناء التى تخوضها بين واقعها المصغر بالقيود وبين أحلامها الصغيرة ببزوغ إشراقة واحدة لفجر جديد .

ومن خلال هذه التجربة المحلية يقترب الشاعر من جزئيات الحياة فى معتركها المُوّار دون تجريد ولا تعمية . وهكذا يطالعنا وجه الشعب بعاداته ومنعرجات تاريخه المأساوى والنضالى ممثلاً فى (سليمان) منذ مطالع القصيدة :

يجىء سليمان
بعد وضوء صلاة العشاء
ثقيل الخطى
تعشش فى ركبتيه
مواجع عصر من الغوص والقهرِ
والسفر المستديم
إلىّ بشاىٍ بلا سكّرٍ
وشربة ماء
لقد هدّنى الضغط و « التّنك » .
والسكّر الأزلى اللعين .

وتصور اللوحة الثانية شخصية « خليل » بأشيائه الصغيرة التى يريد أن يبدد بها بعض همومه ، وأبناءه من التلاميذ بين مرَاحهم وهواجسهم ، ثم نرى داخل الإطار جمعا يتحرك من النساء يستخدم الشاعر فى تصويره بعض التقنيات الحديثة مثل الحوار الداخلى ، فيسبغ على الصورة الحسية ألفة حميمة ، وكأننا نسمع تردد أصوات النسوة من أمهات وبنات . ونتذكر المقطع الذى يتكرر فى قصيدة ت. إس . إليوت المشهورة (أغنية العاشق بروفروك) :

فى الغرفة النسوة ذاهبات جائيات
يتحدثن عن ما يكل انجلو

ولكن المناخ هنا عربى كويتى صميم يرتفع إلى أفق إنسانى تعبر عنه نداءات كل أم لأولادها أن يعودوا إلى الدار فقد انقضى النهار ، وهتافات الصغار المشاكسين أن امنحينا وقتاً آخر نستكمل فيه فرحتنا بألعابنا :

ويأتى خليل
بأكياس فاكهة للصغار
ويبقى يراقب فى صمته المتذنه
وحول المراجيح
يلتفّ جمع من الصبية المتعبين
يؤرّقهم هاجس المدرسه
وتسعدهم لحظة مؤنسه
وتبقى النساء
تروح ، تجىء
تراقب أطفالها فى حذَرْ
تجمّع أشياءها
الماءَ ، والبسط ، والأطعمه
لقد هبط الليل
هيا إلى البيت
لا ، سوف نبقى قليلاً

فجأة يلقف زلزال عات فى جوفه الرهيب كل هذا العمران الصغير الذى يضج بالحياة والأمن كأن لم يَغْنَ منذ ثوان ، وتتابع الصور الشجية وأجزاء من صور القصيدة الأولى بعد أن بدلت تبديلاً :

وفى لحظة
توقف فى ظلها كل شىء
نداء المؤذّن
هدهدة الأمّ للطفلِ
عزف لآنية الشاىِ
قرقرة « القُدْو »
همس الخليج
لعشّاقه الحالمين
صرير المراجيح
تعلو وتدنو
تحرّكَ تحت المقاعد
شىء دفينْ

ويصوغ الشاعر رؤيا درامية تشبه لوحة (الجرونيكا) السيريالية ، إذ يعيد نسج الخطوط المبعثرة التى تألفت فى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البدايات فى تركيب بنائى جديد مجلل بالسواد وطافح بظلال المأساة ، بعد أن تحول البناء الحى إلى دمار ، والفرح إلى انكسار ، وصيحات المرح الطفولى إلى صمت جنائزى :

تناثر تفّاح لبنانَ
رمّان إيرانَ
تِينِ الشامِ
مضرّجة بالدماء
بأشلاء طفل المراجيح
أطراف شيخ
توضأ منتظراً للصلاةِ
بأكياس فاكهة فارغه
تسبتُ فى قطعة من ذراع
معفّرة بالتراب
بثوبِ الأم
تمزّق عنها الحجاب .

ويبرع الوقيان فى اللقطة الأخيرة كما نعهده فى جلّ قصائده ، إذ يصور مأتما قومياً وإنسانياً لا وطنياً فحسب ، فياسى للضحايا الذين هجروا أوطانهم للعمل فى الكويت من مصر وإيران وفلسطين ، وما دروا أنهم سيلقون حتفهم بأيد عربيدة ظالمة فى أرض المهجر العربى الذى رحلوا إليه يلتمسون أسباب الحياة . وتمتد آثار الجريمة إلى أطفالهم رغم بعدهم عن ساحتها ، فيصْلَون بحَرّها وهم ليسوا من جناتها علم الله ، وتتقطع حبال الحنين ووشائج القلوب :

بأحشاء صبٍّ غريب
نأى عن ربى النيلِ
أفياءِ شيرازَ
أشذاء يافا
يقطّع بين المقاهى
حنينا لأطفاله الغائبين .

تلك إطلالة عابرة على العالم الفنى والشعورى للشاعر المجيد الدكتور خليفة الوقيان ، وهى لا تطمح إلى دراسة مستكملة العناصر النقدية ، بل قصاراها أن تكون مقاربة لهذا العالم وصاحبه الذى يبدع فى صمت داوب ، عازفاً عن الصخب الإعلامى ، نادراً موهبته وجهده للاستمرار فى بناء قصيدة حديثة تعبر عن هموم عصرنا العربى والطموح إلى إنشاء لغة فنية تتميز بصدقها وأصالتها وإضافتها رحيقاً جديداً إلى شرايين قصيدتنا المعاصرة .

القاهرة : د. حسن فتح الباب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأدب الســـويسـرى النـــاطـــق بالفـــرنـــسيـــة

د. الســـيـد عـطـية أبـو الـنجـا

لعل أول سؤال يخطر على البال هو : هل هناك أدب سويسرى ناطق باللغة الفرنسية ؟ وما الفرق بين هذا الأدب وبين الأدب الفرنسى ؟ وهل يجوز طرح هذا السؤال فى عصر يصعب فيه أحياناً تحديد هوية الفنان الثقافية ؟ فهل بيكيت كاتب فرنسى أم كاتب ايرلندى ؟ وهل ينتمى أوجين يونسكو إلى فرنسا أم إلى رومانيا ؟ وهل يعدّ بيكاسو فنانا فرنسيا أم أسبانيا ؟ إن « كاتب ياسين » يشكو من تمزقه وحيرته بي فرنسا التى يكتب بلغتها وبين وطنه ، الجزائر العربية الإسلامية . . . ومما يزيد الأمر تعقيداً أن كبار الكتاب السويسريين ، من أمثال « جان جاك روسو » و « بليز سندرار » تتنازعهم سويسرا وفرنسا ويعدّهم كثير من النقاد أدباء فرنسيين لأنهم اتخذوا فرنسا موطناً وازدهرت مواهبهم تحت سمائها وتشبعوا بروحها وثقافتها .

والحق أن المقاطعات السويسرية « الرومانديـة » ، أى الناطقة بالفرنسية ، تتميز بانتاج أدبى « روماندى » لا يتقيد بالمعايير والاتجاهات السائدة فى باريس ، بل يتأثر بظروف تاريخية محددة ، وبمؤسسات معينة ، وينهل من مصادر ثقافية أكثر تنوعاً ، كما يتكيف مع إمكانات النشر المحدودة الشحيحة فى سويسرا . وهذا الأدب يعدّ مرآة لمجتمع فرنسى بلغته سويسرى بتقاليده ، قليل التأثر بالحياة الأدبية فى باريس .

ولا يكفى ، لتحديد معالم هذا الأدب ، التحدث عن المؤلفين وعن لغتهم ، بل ينبغى التركيز على الترابط بين هؤلاء المؤلفين وبين قرائهم ، وعلى نوع هذا الترابط وعمقه وأصالته . ففى جنيف وفى فريبورج ، وفى نيوشاتل وفى شودو فوند ، أسهمت ظروف الحياة فى سويسرا ، والمدارس الأدبية على اختلافها ، وتقاليد النقد وميول القراء وأذواقهم ، فى تكوين سلّم للقيم يختلف فى أولوياته عن سلّم الأولويات السائدة فى فرنسا . لهذا يعلق القارىء السويسرى أهمية كبرى على مؤلفات أدباء تجهلهم أو تتجاهلهم فرنسا ، مثل « شارل البير سانجريا » و « مونيك سان هيلير » و « كورينا بيى » و « جوستاف رود » .

ومن الغريب أن هذا الأدب السويسرى يحظى فى بعض الدول باهتمام متزايد ، فقد خصصت له عدة دراسات فى جامعات « سانت اندروز » فى اسكوتلندا ، و « نونتنجهام » فى انجلترا وفى « ترينيتى كولدج » فى ايرلندا ، كما يلقى نفس القدر من الاهتمام فى بعض المؤسسات الثقافية الأمريكية والكندية ، وتفرد له اليابان مجلة اسمها Romandie ، ويجد جمهوراً من القراء فى موسكو وفى بيكين .

وإذا ما ابتعدنا قليلاً عن نيوشاتل وتوغلنا فى المنطقة الجبلية ، تغير المناخ تغيراً كاملا ، ففى « شودو فوند » ، تزدهر صناعة الساعات وتتكاثر الطوائف الدينية ويشتد الإقبال على التيارات الفكرية الثائرة المجددة ويحاول الفرد أن يؤكد وجوده وكأنه يتحدى الجبال ذات القمم الشامخة ، فهنا نشأ المهندس العالمى « لوكوربوزييه » Le Corbusier (١٨٨٧ ــ ١٩٦٥) الذى أحدث ثورة فى فن المعمار ، وهنا ولد الأديب العملاق بليز سندرار (١٨٨٧ ــ ١٩٦٥) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإذا ما انتقلنا إلى منطقة « الجورا » Jura ، وجدنا اقليما ناطقا بالفرنسية ، ولكن مؤتمر فينا قرر فى عام ١٨١٥ إلحاقه باقليم برن الناطق بالألمانية ، وقد عانى أبناء الجورا من هذا القرار وقاوموه على نحو أدى إلى « استقلال » جزء من الجورا بينما بقى الجزء الآخر تابعاً لإقليم برن .

وهكذا يمكن القول إن هناك أدبا سويسريا رومانيا يحاول أن يؤكد وجوده وأن يحمى هويته حتى لا يبتلعه جاره الفرنسى العملاق ، ولهذا يحرص هذا الأدب على التعبير عن خصائص مجتمع يعيش فيه مليون وثلاثمائة الف شخص مبعثرين بين كانتونات وبلاد صغيرة متباينة ، فبعضهم يقيم فى جمهورية جنيف التى يغلب عليها الطابع الدولى وتنفتح على مختلف الثقافات ، وبعضهم ينتمى إلى جمهورية برن الناطقة بالألمانية ، بينما يقيم البعض الآخر فى فريبورج التى تستخدم كلا اللغتين الألمانية والفرنسية فى جامعتها ومختلف مدارسها وفى حياتها اليومية ، كما تلتصق بعض البلاد بمنطقة « تيسان » الناطقة بالإيطالية وتتأثر بالأدب الإيطالى ، بينما تعانى بعض القرى النائية من العزلة وتكاد تنغلق على نفسها .

ويحرص الأدب السويسرى على التعبير عن انتمائه إلى هذا المجتمع الروماندى وعلى ابراز خصائصه ، وفى هذا يقول « جو نزاج دو رينولد » (١٨٨٠ ــ ١٩٧٠) فى إحدى قصائده :

« كريسييه » ياقريتى الصغيرة
ما أنت إلا بلدة نائية
ولكنك فى نظرى قلب الطبيعة النابض
والعروة التى تجمع شمل العالم

ويعتز هذا الأدب بتراثه الذى يتمثل فى مؤلفات « جان جاك روسو » و « بنجامين كونستان » و « مدام دوستال » و « بليز سندرار » .

وفى منطقة « فاليه » (Valais) ، تسود القيم الكاثوليكية منذ العصور الوسطى ويتقيد المجتمع بقيم ريفية متشددة ، وقد برز فى هذه المنطقة كاتبان ، هما أولاً الروائية « كورينا بيى Corinng Bille (١٩١٢ ــ ١٩٧٩) التى برعت فى تصوير ذلك المجتمع الريفى فى قصص اشتهرت فى أوربا ، مثل « تيودا » (١٩٤٥) ، وثانياً الشاعر والروائى موريس شاباز الذى يبلغ من العمر ٧٢ سنة ، والذى صور احياة فى المناطق الجبلية ، وعبّر عن الصراع بين الخير والشر فى رواية « سباق الشيطان فى منطقة فاليه » (١٩٦٨) .

وعلى العكس من كاثوليكية منطقة « فاليه » ، تتغلغل البروتستانتية فى جمهورية جنيف منذ أن استقر فيها المصلح الدينى « جان كالفان » ، وتقيم علاقات وثيقة مع العالم الانجلوسكسونى ، وتتابع باهتمام كل ما يكتب باللغة الألمانية ، كما تحاول التعرف على الحضارة العربية الإسلامية منذ السبعينات ، منذ كثر إقبال السياح العرب والإيرانيين عليها وتوثقت علاقاتها التجارية بدول الخليج وازداد عدد أبناء الجالية العربية الموجودة فيها والتى تدرس فيها أو تعمل فى البعثات الدبلوماسية وفى مقرّ الأمم المتحدة . وقد برز فيها « سوسير » ، الذى ارسى قواعد علم اللغة الحديث ، والناقد المشهور جورج « جان ستاروبنسكى » (من مواليد ١٩٢٠) ، والشاعر جورج هالداس (من مواليد ١٩١٨) الذى يصف الحياة اليومية فى جنيف فى قصائد تنم عن معرفة عميقة بالأدب العالمى .

أما « فريبورج » ، التى تتباهى بجامعتها الكاثوليكية وتتميز بازدواجها اللغوى إذ تجمع بين اللغتين اللرنسية والألمانية ، فهى شديدة التأثر بالأدب السويسرى الناطق بالألمانية ، كما أنّها تعطى للدين أهمية كبرى ، ويتضح ذلك فى مؤلفات « جونزاج دو رينولد » وفى شعر « شارل البرت سانجريا » (١٨٨٣ ــ ١٩٥٤) .

أمّا مدينة « نيوشاتل » البروتستانتية ، فهى منفتحة على أوربا وتشبه « جنيف » إلى حد كبير ، وقد برز فيها « جى دو بورتاليس » (١٨٨١ ــ ١٩٤١) الذى استلهم رواياته من حياة بعض كبار الموسيقيين الأوربيين ، والناقد الحصيف « دونيس دو روجمونت » (١٩٠٦ ــ ١٩٨٥) المعروف بكتابه « الحبّ والغرب » وبمقالاته التى دعا فيها إلى وحدة أوربية ثقافية .

وخلال قرن من الزمان ، ساد الشعور بالإحباط واليأس لدى أبناء الجورا ، ويتضح ذلك فى أشعار « ورنر رانفر » (١٨٩٨ ــ ١٩٣٦) الذى يعانى من العزلة والاغتراب ، وفى روايات « جان بيير مونييه » (من مواليد ١٩٢٠) ، مثل « نور الليل » ، التى تصور فى ألوان قاتمة شتاء الغابات الطويل ، وهو شتاء يرمز إلى عزلة الجورا وموتها البطىء ، وفى الجورا الشمالية التى انفصلت عن برن عام ١٩٧٨ يتخذ الشعر طابعاً سياسياً نضاليا فى مؤلفات الكسندر فوازار (من مواليد ١٩٣٠) .

وفى منطقة فود Vaud ، يتسم الأدب بخصائص فريدة ، إذ يشغل هذا الكانتون المنطقة الوسطى من سويسرا الروماندية ، وفيه يعيش مجتمع بروتستانتى ريفى ، يتحرك ببطء شديد ، ويحذر من التجديد المتسرع ومن « المودة » المتغيرة ، هنا كتب الروائى العملاق راموز Ramuz

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٨٧٨ ــ ١٩٤٧) قصصه التى ذاع صيتها بالعالم أجمع ، وهنا كتب « جوستادرود » (١٨٩٧ ــ ١٩٧٦) قصائده التى يمتزج فيها وصف الطبيعة بالتشوف الصوفى .

وفى هذا المجتمع الريفى يشتد الشعورالدينى ، ويعرض الكاتب عن مباهج الحياة الزائفة الزائلة ، ويكثر حواره مع نفسه ، وقد شرح الشاعر جاك شيسكس (من مواليد ١٩٣٤) قائلاً : لنا أبوان لا أب واحد ، هما « كالفان » و « روسو » .

فعلى الصعيد الشعبى ، تنتشر قراءة الكتاب المقدس ويزدهر أدب دينى يكثر فيه الوعظ ، وفى أوساط المثقفين ، يحاول الأديب التوفيق بين صرامة « كالفان » ودقته ووضوح فكره ، وبين رومانسية جان جاك روسو وحبه للطبيعة وللتنزه بين أرجائها بعيدا عن ضوضاء المدن ، وفكره الحالم وظمئه الصوفى وتحرره من هيمنة الكنيسة .

ويبدو تأثير الكتاب المقدس واضحاً فى مسرح « رينيه موراكس » (١٨٧٣ ــ ١٩٦٣) مؤلف مسرحية « الملك داوود » (١٩٢٠) التى تتضمن أناشيد مستلهمة من مزامير داوود لحنها الموسيقار المشهور « هونيجر » . ولكن الشاعر والروائى « راموز » يثور على هذا الأدب « البورجوازى » المولع بالوعظ والتهذيب ، ويكتب روايات شاعرية يصف فيها البحيرة والكروم والجبل الشامخ وثورته العارمة ، ففى الجبل يحلق الخيال ويهيمن الشعور المأساوى ويصارع الإنسان قدراً قاسياً يتمثل فى قوى الطبيعة الغاشمة . ولعل عبقرية راموز تكمن فى لغته التى تصور الطبيعة فى جمل قصيرة ولمسات بطيئة تذكرنا بلوحات « سيزان » .

وتحاول المرأة السويسرية أن تعبر عن ذاتيتها وأن تؤكد وجودها ، فتكتب « كاترين كولب » (١٨٩٩ ــ ١٩٦٥) روايات متأثرة بمؤلفات « فرجينيا وولف » ، بينما تصف « كورين بيى » الطبيعة فى قصص قصيرة وروايات تعطى مقام الصدارة للحلم ؛ وقد حصلت على جائزة أكاديمية جونكور فى ١٩٧٣ .

ويتضح مما سبق أن الأدب السويسرى الرومانـدى أدب مجتمع صغير موزع بين قرى ومدن لكل منها خصائصه وسماته ، مجتمع غنى مرفه لا يعانى من البطالة والفقر ولكنه يشكو من أمراض الحضارة الحديثة مثل الوحدة والضجر والشعور بالاغتراب ؛ مجتمع يعتز بالتراث وبقيمه وتقاليده ويحذر من « البدع » ، ولكنه مجتمع منفتح على العالم وثيق الصلة بسويسرا الإيطالية وسويسرا الألمانية . فالأدب السويسرى الرومانـدى متنوع مع الحفاظ على وحدته التى تميزه عن جاره الفرنسى العملاق ، متكامل مع الأدب السويسرى الإيطالى والأدب السويسرى الألمانى ؛ منفتح على الانتاج الثقافى العالمى ومتمسك فى الوقت نفسه بتراثه وتقاليده .

ويتمثل هذا التراث بشكل خاص فى البروتستانتية التى أرسى جان كالفان أسسها ، فالكاتب السويسرى يكثر من قراءة الكتاب المقدس ويتأثر بأسلوبه .

وبقصصه ؛ ويعرض عن الحديث عن ملذات الحياة الفانية وأمجادها الزائفة وقد ينزلق إلى نوع من الوعظ ثار عليه « راموز » . كما يحرص الكاتب السويسرى على التعبير عن ذاتيته وتحليل شخصيته وتجاربه الخاصة ونظرته للحياة ، وكثيراً مايفر هذا الكاتب من المدينة وأضوائها وجلبتها ، ويسير الهوينى ــ على غرار جان جاك روسو ــ فى مناطق منعزلة هادئة ؛ فيصف معركة الموت والحياة فى الطبيعة التى يكسوها الجليد فى الشتاء بكفن أبيض ولكنها تستيقظ من نومها بحلول الربيع ؛ ويحاول الكاتب تسجيل حفيف الأوراق فى كل شجرة وتناسق الألوان فى كل زهرة ؛ وكثيراً ما يرى فى جمال الكون آية على عظمة الخالق ؛ وقد يذوب فى هذه الطبيعة اللامتناهية وتمتلىء نفسه بمشاعر صوفية ؛ ثم يصف لنا ذلك كله فى أدب يذكرنا بجان جاك روسو إذ تغلب عليه الرومانسية الحالمة وتتابع جملة فى حركة هادئة وكأنها تسير على مهل بين أحضان الطبيعة .

نماذج من الشعر السويسرى الروماندى المعاصر

ــ أ ــ

الشعر الكلاسيكى المعاصر

الشعر الكلاسيكى المعاصر هو الشعر الذى يحترم قواعد علم العروض التقليدى من حيث البحور والقافية ، وفى القصيدة التالية تقلد « ايزابيل دو جيل » الشعر الماليزى المعروف باسم « بانتوم » ، وهو قصيدة رباعية ، يصبح البيت الثانى فى الرباعية هو البيت الأول فى الرباعية التى تتلوها كما يصبح البيت الثالث فى الرباعية هو البيت الرابع فى الرباعية التالية ، تصف ايزابل دو جيل فى هذه القصيدة رحلتها إلى عالم الذكريات .

بيت السأم

اتكأت فى ضعف على عصا الترحال وعاودت السير
لَمْ أقاومْ ، ما السر فى ذلك ؟
يا ريفى الساحر ، ويا عشى الناعم ، يا جزيرق
عدت لألتقى بالوحدة والخطر .
لَمْ أقاومْ ، ما السر فى ذلك ؟
بيت السعادة يعانق طيفاً ساكناً

عدت لألتقى بالوحدة والخطر
فى كل مكان ذكرى شجية رقيقة
بيت السعادة يعانق طيفاً ساكناً
غناء الطير يتردد فى صفاء
فى كل مكان ذكرى شجية رقيقة
هل جنّة الماضى هى المنفى ؟ .
غناء الطير يتردد فى صفاء
الحياة تتدفق فى عروق الشجر
هل جنّة الماضى هى المنفى ؟
سكت الصوت الحبيب وخيم على دارى الأسى
الحياة تتدفق فى عروق الشجر
اين ولّى صيفنا ؟ أين راح ربيعنا ؟
سكت الصوت الحبيب وخيم على دارى الأسى
اختفى ضحك الفرح وتلاشى هديل الطفل الصغير
أين ولّى صيفنا ؟ أين راح ربيعنا ؟
هل كان كل العناء من أجل هذا الخواء
اختفى ضحك الفرح وتلاشى هديل الطفل الصغير
اتكأت فى ضعف على عصا الترحال وعاودت السير

الشعر الحديث

برعت « كورينا بى Corinna Bille » فى كتابة قصص شاعرية تنم عن حبها للطبيعة وعن روحها المرحة

حالة سكر

قالت المرأة للشرطى
لم أفقد الوعى لأنى شربت حتى الثمالة
من رحيق النسيم
ما أخذت سوى جرعة من السماء السوداء
وكأس من خمر السيول
وقطرة من نبيذ نهر الرون
وكوب من لبن الهضاب
ولكنى ضحكت كثيراً مع الرعاة
وهم يمسكون بسكينّ
بين أسنانهم
قبلاتهم حادة كالسكين
ولا يباريهم أحد فى قطف النهود
ولذا ضاع رشدى وفقدت نفسى
سأقضى بقية عمرى
أرعى الغنم
أعيش على اللحم القديد
والريحان والماء الزلال

يكتب موريس شباز Mgurice Chaooaz شعراً مرسلاً « باروكياً » يتجلى فيه أثر الكتاب المقدس ، ويفتقر أحياناً إلى الايجاز ، ونورد فيما يلى فقرات من قصيدة طويلة عنوانها « معجزة المرأة » .

معجزة المرأة

ازدهر شهر يوليو فى عروقى
واجتاحتنى رغبات عارمة
ففى ذاكرة دمائى الحمراء ،
يتحرك الطين والجسد الغض
يتغنى حولى الزبد قائلا :
« الجفاء ، الجفاء »
وقد اشتد بى الظمأ
إلى عذوبتك
سأحتويك فى المساء كما يحتوى الليل الغابات
ترى ماهى المشاعر التى تعتلج فى قلبك
فى دياجير قلبك ؟
ما أشد الصمت !
وما أجمل الصوت الذى سيشدو فى الظلام !
عندما تنحنين علىّ
فتصبح ذراعاى جميلتين
ستنامين على صدرى
ينبوعاً صافياً
حلو الخرير
يللحنان الذى يوقظ المياه
فتشدو وتفيض !
أنت مثل الأرض الطيبة
بسيطة كثيرة العطاء
جسمك سنابل قمح
تجود علينا بالخبز ،
وتغطين رجلك بالحصاد
مثل ثمار الأشجار
انت الشمس والطراوة
انت اللبن والعسل والعنب

ترجمة : السيد عطية أبو النجا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

بقايا أساطير

محمد إبراهيم أبو سنة

هو الآن ذكرَى
تلحّ على الياسمين
تلحّ على طائر غامض . . ،
. . لا يملّ الرفيف الحزين
ينشّر فوق الشواطىء أجنحةً من حنين
ويرحل فى لحظات الفتون
إلى حيث تغتسل الفتيات على النهر فى لحظات الغروب
ليلقط بعض الأغانى الحزينةِ ثم يذوب

●

هو الآن ذكرى
ولكنه حين جاء إلى قريتى
ـ . . « كنت طفلاً » ـ
أثار الدروب
وكان يكتّمُ عاصفة بين جنبيه
كان يقاتل « سرّاً » يراوغه فى الخفاء
وكان يسيل غناء إذا الليل جاء
فيذكر أشواقه وبلاداً تلاحقه حيث راح
ويمضى وديعاً يجوب الحقول
ويجمع منها ظلال الأساطير . .

يبذرها فى ليالى القمر
تظلّ البناتُ إذا ما رأين
الغريب المثير من الشرفات البعيده
يَذُبن بآهاتهنّ ويركضن فى حُلُمٍ . .
. . أبيض وبلاد سعيده
وفى الصبح يدنو من الفقراء . . اليتامَى . . ،
. . . الأرامل مثل النّدَى فى الوجوه
يُعين الذى يطلب العَوْن . . . ،
. . . يجلس كالنبع فوق الطريق

يداعب فى الطرقات الصغار
ويجمع فى مقلتيه النهار
يوزّعه فى الظلام نجوماً على البائسين
ينام إذا ما النعاس أقام له مهجعاً
ويصحو إذا الطير بشّر بالفجرِ . .
. . . يأكل بعض النباتات . .
. . يحسو الهواء
وكان طليقاً كأن الرياح هى التى ولدته . .
. . ليجمعها فى فؤاد برىء وعين مسامحةٍ
لا تنام

وكان يسير كأنّ الغمام
يفوّضه أن يبدّد هذا الجفاف

ليخضرَّ هذا القتام
وعاش الغريب يُجدّد أحلامنا فى الوثام
يبث الحماس ويشعله فى صدور الشباب
ويذكى المودة بين الألدّاء . . ،

. . يقرأ أسرارنا فى العيون . .
. . ويكتمها مثلماً يكتم المرء داء

وذات مساء
دعته إلى خدرها امرأة عاشقة
دعته ليمطرِ فى جسمها الغيمُ
يُشعلها جنّة من بساتين . . .
. . ناراً تضىء قفار السنين
دعته وكانت تطرّز منذ أتى قريتى

ـ خِدْرَها كى يجىء ـ
وكانت ـ كما قيل عنها ـ كيانا من المرمر المشتعل
ونوعا عصيبا من الغَجَر الجامحات
وكم من رجال على بابها يظمأون

ولا يرتوون
ولكنها لا تَبُوحُ لغير الذى فى المنام

يراودها عن هواها
فتطلق أشواقها فى الأغانى
وتملك عشقاً بحجم السماء
تدلّت بأعماقها قبةٌ من نجوم
وما جت على سفحها أعصر من غيوم

●

وجاء الغريب إليها
إلى امرأة من لهب
وديعاً كأن اليمام له ينتسب

وكان يحب
ويعرف أن الحياة إناءٌ من الماء . . . ،
. . . ، لابدَّ يوماً يسيل
ليخضرَّ هذا التراب
ويعشب فى القلب ومض السراب
ونام على حجرها
يذيب لياليه فى فجرها
تطاول كل نخيل المسافات
ثارت براكينها
وفاضت فأغرقت النخل فى نهرها
وأطلقت الأرض أسرارها . .
. . فى اتجاه السديم
وندَّت عن الكون آهة فرْحٍ عظيم
وسالت دماء الكروم
تلفّتَ نهر إلى ضفتيه . . .
. . . فكان المدى داخلا فى المدى
غارقاً فى النعيم

●

وفى الصبح كان الوجوم
يلفّ المداخل فى قريتى
وجاء الغلاظ الغيورون فى غابةٍ من قيود
لكى يصْفِدوا جسم هذا الغريب
وترقد فى مهدها العاصفه
يقولون : ذاق الذى لم نذق
ونال العقاب الذى لا ينال
وأمسك فى ليلةٍ بالمحال

●

ولا أذكر الآن باقى الحكاية
« فقد كنت طفلاً » ولكنهم غيّبوه
إلى حيث عاد الغريب
أمرٌ اغترباً . . وآب
إلى رحلة فى السراب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هو الآن ذكرى
بقايا أساطيرَ تبكى عليها الرياح
ومازال منها
على شفة الأرض لحنٌ
بقايا نواحْ

القاهرة : محمد ابراهيم ابو سنه

ARCHIVE
http://Archive.Sed.Sa...com

حلم يوم مشمس

كامل أيوب

ها نحن الآن معاً والصُّبْحُ صبيٌّ مرِحُ
يضحك فى الطرقات يداعب كل المارّين ، يعابثُ
كلَ الفتيات بكلمات الحبّ فيتورّدْنَ
ويغضين . . ولكن يتفتّحن كنوّار الحقْل
ويلمعْن على دفء الشمس الشتويه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جئنا فى الموعد لم نتأخّرْ . . جئنا ، فى عَيْنىَّ الشَّوقُ
وفى عينيك الرغْبة والخوف وطىُّ الثوبِ نخبّىءُ
كلَّ عذابات الماضى المهزوم وكلّ
تعاسات الحاضر . .
كلَّ أنين وآهات الوحدة والأحزانَ الليليَّه

ها نحن الآن معاً . . نملكُ يوماً . .
فليمْلأنا ولْنملأهُ بنا فرحاً . . نشربُ قهوتنا ثم
نطير إلى نبع مأمونٍ أعرفه . . نخلع عنّا فيه
أقنعة الخجل المعتاد ونغسل فيه . غربتنا حَتّى
يتواصل جُرحانا . . تهمس فى نبْضهما النّاياتُ السّحريَّة

ولْنتخاصرْ بين الزهر . . ونبعثْ قبلات للطّيْر

ونحن معاً نتهادى نحو الماء كآدمَ فى صحبة حوّاءَ
وقد سقطتْ أوراق التوت فراحا يكتشفان
الأرض سعيدين . . . لنلْعبْ . . . ولنتشاجرْ
ولنتسابقْ فى إمساك البقع الضوئيّهْ

ها نحن الآن معاً . . وجْهُك يتألّق وأنا
أعبث فى شعرك . . بشرتك يُغنّى فيها اللّونُ
الخمريّ وأنت بحضنى . . نهداك يرفّان وصوْتك
يصفو ، يصبح جوقة عَزْفٍ . . نارك تشتعل
وتتّحدُ بنارى فنموت ونولد ثم
نموت ونولد فى اللحظات العفْويّهْ

ما أنت امرأةٌ . . لا . . أنت خميلةُ عطرٍ . . لا بلْ
شجرةُ لوز مثمرة . . لا بل بستانٌ . . بل إحدى
مدن الشاطىء . . أحلىٰ مدن الشاطىء . . بل كونٌ
مسحورٌ أدخله فأفكّ طلاسمه وأحرّرُهُ
يدخلنى فيلقّننى الأسرار الكونيّهْ . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

[كانت قد شربت قهوتها فى ذاك اليوم المشمس
بيْنا أُكمل « فنجانى » وأحاورها سرّاً تحت
ستار وقار مصطنع لا يُخفى فى عيْنىّ الشوقَ ولا
يتجاهل فى عينيها الرغْبة والخوف . . ورغم
تفاهمنا الصّامت لم نتبادلْ إلا الكلمات العاديّة !!]

القاهرة : كامل أيوب

النســـــــــيان

وليـــــد منـــــير

لو أصبح النسيانُ وردةً تنام فى حديقتى
لكنتُ بَستانيُّها الوحيدَ .
لن أنزعها من روحها قَطْ
لن أساوى بينها وبين غيرها من الورودِ
لن أجعل شيئاً غير عادىٍ ينالُ من شبابها
ومن عبير لونها .
سأروى أوّلاً بأوّلٍ
حنانها الغضَّ كما لو كنت أروى عودَ أحلامى .
ستنـــمو
وتعيشُ
الله لن يهملها من أجل خاطرى
ولن تذبلَ
أو تموتَ .
لو أفلتُّ من ذاكرتى دوماً
فأصبحتُ بلا ذاكرةٍ
لكنتُ جزءاً من ترابها
أو ورقاً يزخرُ بالخضرةِ فوق غصنها الدقيقِ .
يا أيُّتها الوردةُ

ياسيدةَ الحديقةِ الصغيرةِ
النسيانُ شاغلى
لَشَدَّ ما أنّبتُ نفسى حين لم أكشفْ نهايتى
على يديه ذات يومٍ
أىُّ نعمةٍ هو النسيانُ
أىُّ راحةٍ
وأىُّ مرساةٍ تُقَرِّبُ الشطوطَ فى ابتعادها !

اللـــــه
يا قلبـــــى
جميلٌ أن أراك واحداً
مستوحداً
متّحداً بذلك البهاءِ

ماذا لو بَقِيتَ هكذا
لو بَقِىَ النسيانُ وردةً تنامُ فى حديقتى
وأنتَ ترعاها
ولو ماتت جميعُ الذكرياتِ دفعةً واحدةً
واندثرتْ .

القاهرة : وليد منير

نـــزف الـــوردة

محمـــد يـــوســـف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أشجار الجمّيز
وأشجار الخروعِ
والنارنج
ضفائر أشجار الصفصافْ
حبُّ الرّمانْ
التوتُ
الأغنية الأولى
فى رحِم الأرضِ
تَعالَ
هنا
الجمرةُ
إبريق الشاىِ
واسم أبِى
ــ « يوسفُ »
يقرأ فى اللوحِ النيلىّ
الفجر/النوّارة
«نرجسُ»

سوقُ السبت
البقرُ الراكض نحو العشب
الحلم الراكضُ نحو العشب
ورغيفٌ
تخبزه أمّى فى شقشقة الفجرِ
له لَفْح النَّهد
الرابض فى قصب الشّالِ
ورجرجَة المَوّالِ
الترعة سرب صبايا
وطيور بيضاءْ
ودندنةٌ خضراءْ
الزّلعَةُ
يانرجسُ
ترقص فوق الرأسِ
ــ هنا الحلم الشفّافْ
الطالع من جذع الصّفْصافْ

اصطبرى ياأمّى
قمر يبزغ من عينيك
إذن
يندلع الشِّعْرُ
يعذبنى الزَّمَنُ الوَعْرُ
هنا بقراتٌ سَبْعُ
وذئاب سبعة
ـ عَدَدٌ
لا يحصيه العدُّ
وراء السبعة والسبعِ
عجافٌ أيامى
يبست
واحتبستْ
فى شقِّ صخرىٍّ
وعويل نهرىٍّ

ـ « يوسفُ »
« يوسفُ »
« يوسفُ »

ـ حبَّةُ توت
تركض فى الحلمِ
وتمنحنى شَارة يُتمى
فاكتبْ
يا « يوسفُ » :
ـ نَزْفُ الوردةِ بيرقُكَ
المزدانُ
بما يهديك به الفجر من الأسرارِ
فتبتّلْ
وتهجَّدْ
أنْتَ الآن وحيدٌ
تدخُلُ
موسيقى الخلوةِ
فتهيأْ و تريَّضْ
حَبُّ الرمانْ
يملأ ناصية الحلمِ
من الغربة
حتى « حارة سلطانْ »

الكويت : محمد يوسف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

طـــواحـــين الـــغضـــب

وصـــــــفى صـــــــادق

غزوُ جيوشِ الضِّيقِ . . والظلامْ .
يحاصرُ القلوبَ . . والأبوابْ .
والشمسُ تُحتضَرْ . .
على وسادِ المتعبين حاملى الأثقالْ .
أجنحةُ الأشواقِ والسلوىٰ . . ،
على الأسوارِ تنزفُ الدماءْ
لكنها سُدى تموتُ فى حنايا الفقراءْ . .
أولئك الذين لم يسلّموا يوماً . . ،
سلاحَ البسمةِ . . الأحلامْ .
ويسكبون فى قناديلِ العزاءْ . .
آخرَ قطرةٍ من الدِّماءْ .
لعلّها يوماً تضىءُ . .
تحملُ للشمسِ بشارهْ . .
والشمسُ تحتضرْ . .
فى الخندقِ الأخيرِ . . تحتضرْ .
فى ظلمةِ الشروقِ . . تختنقْ .
وشعرةُ الهدنةِ . . ،
بين النارِ . . والرَّمادِ تنقطعْ .
ينكشفُ الغطاءْ . . !

الجمرُ فى الأيدى . . ،
شموسٌ من ورَقْ .
أصابعُ الرجاءِ تحترقْ .
والغضبُ الدفينُ . . ،
يطفو فوق قمصانِ الحديدِ لحظةً . .
وبعدها يرتدُّ فى الصدورِ كالخناجر .
(ما بلَغَتْ يوماً قلوبُنا الخناجر !)
حـــقُّ اللجـــوءْ . .
للموتِ . . للجنونِ . . اختيارْ .
مخاضةُ القيودِ . . ،
نارٌ فى العِظامِ وانْتظارْ .
ميلادُ إعصارٍ . . ،
يهزُّ فى زنازِين الضلوعِ والحنايا . . ،
عنكبوتَ الاكتئابِ السرطانىَّ القديمْ .
والرغبةَ السجينةَ الهوجاءْ . .
فى الاندفاعِ الهادرِ المجنونِ . .
صوبَ كلِّ شارعٍ . . ،
وإطـــلاق الرصاصْ . . !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على الصدورِ . .
والقيـــودِ . .
والذبـــابِ . .
والهـــواءْ . .
والصمتِ . .
والساعاتِ . .
والأبواقِ . .
والحوائطِ الصفراءْ . .

والضـــوءِ . .
والأردافِ . .
والضجـــيجِ . .
والصحـــفْ . .
والطلقةُ الأخيرهْ . .
فى كبدِ السماءْ .

الإسكندرية : وصفى صادق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

ولى جبل يعصم

عبد الحميد محمود

توقَّفَ زحفُ الهديرِ على الناصيهْ
وقلتُ دعونى قليلاً لأغفو
فحمحمةُ السعى شقَّت علىَّ
وزاغَ بزحمةِ هذا الطوافِ
صدى العافيهْ
وقلتُ لكم خيمةً
تمدِّدُ أحلامَها فى هدوءٍ
وتقبعُ فى ركنها غافيهْ
لماذا رجعتم ؟
تهرولُ بين خطاكم رغائبكم
فلبيتُها صاغرا
وأيقظتُ زحف الهديرْ
لتُكملَ هذا المسيرْ
وخيَّم ضِيقى
فما زلتُ ألهثُ . . لكنكم تملكون الزمامْ
وكان طريقاً شَقَقْنا ظلامَ التوجُّسِ فيهِ
ولكنَّ شيئاً تمطَّى علينا
يداهُ هنا أم يداهُ هناك ؟
وسدَّ المدى
وباحَ الصموتُ بحقدٍ دفينْ
فلا طائرٌ
ولا عقربٌ
ولا شاردٌ فى الطريقِ يبينْ
وصحراءُ ما بين نبضى ونبضى
وصحراءُ ما بين كفِّى وكفِّى
أنادى فمن ألف عامٍ بدأنا هنا
وكان لزاماً علينا المسيرْ
وكان التوحُّدُ . . .
. . . فى جسدٍ عربىٍّ أصيلْ
ونوَّرَ فرْحُ انتصاراتنا
ولكنَّ فَرْحَ الليالى قليلْ

●

على شفرةِ اليأسِ سال أنينى
أنا مَنْ أنا ؟
وأين الطريقُ ؟
وأين الشعاعُ الذى نبتغيه لنلمحَ . . .
. . . فى سطوةِ الليلِ عزمَ النجاهْ ؟
هنا مرَّ (أحمدُ) . . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

. . فاخضرَّ رمل الصحارى
وآمن بالنور أدنى قصىٍّ
وأقصى بعيدْ
هنا كان فجرٌ
وكـــان . . .
أفقتُ على حشرجات الدماء الحبيبهْ
صـــرختُ
ومازال رعبُ الظلامِ يسدُّ المدى
مددتُ يدىَّ لأحملَ بعض الطيورِ . . .
. . . التى لم تزلْ رغم همِّ الصحارى
تريد الحياهْ
وكنتُ على حدِّ غيبوبةٍ مُشْرِفا
فَمَنْ مدَّ كفَّيهِ حولى
ليحمل عنّى الطيور القريبهْ
وقلتُ أخذتَ
وأنتَ الذى حين تأخذ تُعطى
فباركْ لنا فى
نهارٍ يشبُّ
ليبلغَ أرضاً عماراً رحيبهْ
ورَفْرَفَ دمعى على ما تركنا
بأرضٍ غريبهْ

●

على جبهتى محنتى
على جبهتى أُمّتى
ولى جبلٌ من جنونِ المدى يعصمُ
تريد الطيور إليه الوصولَ
لتسكن فى روضةٍ من حماه طويلاً
فيا ومضاتِ الزهورِ أضيئى الطريق إليهِ
وكونى الدليلاَ

القاهرة : عبد الحميد محمود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هنـــــــــد

محمد عبد الوهاب السعيد

هِنْدْ

أَ لِأَ نّكِ هِنْدْ

قلتِ : كنْ

قال : كنت قُبَيْل مجيئك نرجسةً وبحيرةَ شُهْدْ

قلتِ : كن ولكَ الحور والنورُ . .

كن ولكَ الخُلْد والوعدُ

كن وعليك السلامْ

فتَدلّى وأسلم كفَّيهِ ، أغمض عينيهِ تحت العناقيد ، نامْ

كيف ـ حين استفاق على الشمس والرمل . . .

حين تعرّى فقامْ ـ

لم يجدْ مِن هواك سوى معصمين وقيدْ !

ألانك هند ؟!

ألأنكّ ما لكةُ المشْرِقَين وتاج على كلِّ قلب . . .

حلال لك الروح ، لا السرُّ سرٌّ ولا البعد بُعْدْ !

ألأنَّ الطيور ، النُّهَيْرات ، والقاطرات . .

الجِمالَ ، الرجال ، الحُدَاة ، الشدُّاة ، المعاميد . . .

من كل فج تجيؤك حاملة شَوقها لديارك . . .

أوقَفتِه بالوصيد زماناً . .

وحين تهيّأ للوصل رُدْ
ألفُ عام ونُوحُك لَمّا يَزَلْ فى احتشاد الجموع ببابكِ . .
فى هينمات الشفاه وفى زهوة الضوء فوق العيون . .
يُخافِت باسمك حتى تهبّ رياحٌ . .
فيقصيه جزرٌ ويدنيه مَدْ !
ألأنَّك هند ؟

المنصورة : محمد عبد الوهاب السعيد .

قصيدتان

مهدي محمد مصطفى

١ـ اعتراف

كَانَ يَحْلُمُ بالأَجْنِحَهْ .
كَيْ يَطِيْرَ ،
وَكلَّ مَسَاءٍ ، يُعِدُّ عَصَاهُ ،
وَزَادَاً مِنَ الأَسْئِلَهْ .
ثَمَّ طِفْلٌ قَدِيْمٌ سَيَضْحُوْ ،
وَيَسْأَلُهُ المُدُنَ الرَّاغِبَهْ .
هَيَ فِيْ آخرِ الصُّبْحِ ، مِثْلُ مَرَايَا مُعَلَّقةٍ ، يَرْحَلُ الصَّمْتُ
مِنْهَا إِلىٰ غَابَةٍ مِنْ صَهِيْلِ الحَنِيْنِ ، وَيَنْدَسُّ فِيْ لَيْلِهَا
شَجَرٌ مِنْ سُؤَالِ الصَّدَى ، ولهَا كَهْفُهَا ، وَحَوَانِيْتُها ،
وَثُرَيَّاتُهَا ،
كلُّ مَنْ سَارَ فِيْها رَأَى ،
وَرَأَىٰ ،
وَرَأَىٰ ،
خَمْرَهَا ، وَغُوَايَاتِهَا
غَيْرَ أَنَّ الَّذِي جَاءَهَا ،
آخرَ الجَزْرِ . . . أَبْصَرَها
نَجْمَةً . . . غَامِضَهْ .

٢ ـ ذاكـــرة

أيُّها العَابرُ لَيْلَ الذَّاكِرَةْ . .
أَنْتَ عَاقَرْتَ طَرِيقَ الأَسْئِلَهْ . .
حِينَ حدّقتَ بوَجْهِ القَابِلهْ . .
لَم يكنْ فى الليلِ ، ليلٌ ، والصّباحاتُ ، تلاشتْ . .
حِينها رائحةُ الموتِ أتتْ ، غطّتْ ،
فَضَاءً ،
وَغُيُوْمَاً ،
وَرِمَالاً ،
وَثَرىً ،
وَامْرَأةً ،
كُنْتَ لها حِنّاءهَا ، نَافِذَةَ الرُّوْحِ على نَجْمٍ بَعِيدٍ ،
كُلُّ ما أبْصَرْتَهُ صَارَ صَدَىً فى الهَاوِيَةْ . .
أنتَ حدّقتَ بوَجْهِ القَابِلَهْ . . .
فَلْنَكُنْ جُثّةَ تِلْكَ الذَّاكِرَةْ . . .

القاهرة : مهدى محمد مصطفى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

عـــاشـــقـــان ... ووقـــت

مـحمـــود قـــــرنى

مولعٌ بتقاويمِ هذى السنهْ .
مَرّ ما بينَ وجْهين عامٌ ،
وها هيَ غادَرت القلبَ أنْبَاؤُه ،
ووحيداً أمرُّ على وجهِهَا ،
أتَّقيهِ
وأغمسُ أوراَدَه فى بحور محبتها
وأنام .
فليكن
إنها عَلَكَتْ فى دمى وَرْدها ،
وليكنْ . . .
أننى كنتُ خَيْمتَها وأناشِيدَها ، . . .
داخَلَتْنى رياحِينُها ،
وأنا المتَلبّسُ ساحتَها ،
ووجوهَ محبّيهَا ، وحنينَ مُلاءَاتِها لعروقى ، . .
وها هيَ عَلّقت الحُبَّ بالحبِّ
وادَّخرتْ لدمى موعدا
وبدا وجهىَ المتعلّقُ فى سُرّةِ المائدهْ .

انتظرتُ طويلاً . . .
وخبّأتُ فى وقتها ولَعى بالجنونِ ،
وبالموتِ فى غَيّها الموسِمِىْ .
مرّت اليومَ بالنهرِ ،
تسألُ عن ولدٍ نازَلَتْهُ الصبايا ،
وعن زهرةٍ ،
أفلَتَتْ فى الصباحِ وحطّتْ على شَاهِدٍ .
مولعٌ بتقاويم هذى السنَهْ .
والقطارُ يَشُقُّ المسافةَ بين عشيقين ، . . .
يَسْعَلُ وهو يخبّئها بين معطفهِ وهواهُ ،
ويمنحُها يومهَا . . . ،
يَدْخُلانِ . . ،
تُعلّقُ آخرَ يومٍ على حائطِ البهوِ ،
تدخلُ حجرتَها ،
وتمزّقُ تقويمَ عامٍ مضى ،
ثم ترسمُ وجهاً أليفاً
يراوِدُ تقويمَ عامٍ يجىء .

القاهرة : محمود قرنى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تنويعات على مقام الطين

أحمد مرزوق

حقول الليل ساقيةٌ . .
تحيط مداخل العتمه
وبيت حبيبتى النجمه .
تلفّ جدارَه الطينىّ
أشجارٌ من الأشجان والظُّلْمه .
أمدّ شراع ذاكرتى
إلى أرضٍ خرافيّه
وأبحر فى مدار الطين . .
والشمس السديميّه
فأبصر وجهك الفضىّ
متّشحاً بلون النوم والحمّى .

*

تراب الجوع يصهل فى برارى . .
النوم والسُّخره
يصارع نجمة الأحلام والخضره
يقاوم وطأة المدن النحاسيّه
فيسقط ــ جاثيا ــ كالهم . .
بين الجلد والسُّتْره
حصان الطين ينفخ كوخه المُطفا .
ويزرع حلمه مُدَناً
فتطلع شمسه حَلْفَا
ونَوْء الليل لا يهدا
يشدُّ البؤ بؤَ الظمآنَ
سعفُ نخيله شَدَّا
وطير الموت يخطف نجمه الفردا
فيرقص فى حبال الموت والمنفى
على بوابة السُّهد الحديديه
وقفت أحدث الأشجار والأشباح
والوحــده
وقفت أبعثر الأيام فوق مقابر
الحكمــه
تعلّق مهرجان النوم
فى منظومة الظلمه
وأَخْلَدَ فى سرير الحلم والكلْمه

*

ذراع حبيبتى خشبُ
وصدر حبيبتى حطبُ

ووجه حبيبتي عطبُ
فحين كَسَرْتُ قشرتها
لأعرف ما هو السبب
تلألأ قلبها الذهب

*

صياح الجنِّ في المدن الترابيّه

وبنت الليل محظيّه
تنام على رياش الصمت
والأرض الرخاميّه

وست الحسن منسيّه
وأنت على رمال الشمس
ـ يا إيزيس ـ مرميّه

المنصورة : أحمد محمد مرزوق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

الأربعاء الجميل

عزت الطيرى

إنّه الأربعاء الجميلْ
إنّه يوم عُطلتنا . . .
الشوارع خائفةٌ . . .
والطفولة نائمةٌ ،
فى سرير عذوبتها ،
تحت وَرْد النعاس الثقيلْ
والنوافذ مشتاقةٌ للعصافيرِ ،
مفتوحةٌ للنّدى ،
والنسيمِ العليلْ
والنساءُ النظيفاتُ ،
ينشرنَ بعض الملابسِ ،
فوق حبال الغسيلْ
وتحت العيونِ الكسولاتِ
أغنيةٌ
للمساءِ الطويلْ
. . . . . .
. . . . . .
إنّه الأربعاء الجميلْ
وأنا فى انتظار الجرَسْ . . .
جرَس البابِ ،
أو جرس الهاتفِ المستحيلْ
سوف تأتينَ . . .
نخرجُ . . .
نرتاد بعض المحلاّتِ
أو نركبُ الحافلاتِ
أو نشترى كُتباً
أو مجلاتِ ،
نجلسُ . . . . .
نرتاحُ . . . . .
نشربُ بعضَ العصيرْ
. . . . . .
. . . . . .
إنّه الأربعاء القصيرْ
. . . . . .
سوف تأتينَ . . .
ينتصفُ اليومُ
سوف تأتينَ . . .
يقرصنى الجوعُ والهمُّ . . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سوف تأتينَ . . .
تغربُ شمس النهار القتيلْ
وترحلُ كل طيور النوافذِ
تفرغ كل حبال الغسيلْ
. . . . . .
سوف تأتينَ

قال لى القلبُ
قالت زهور الحديقةِ ،
قالت لنا ساعةُ الحائط المستكينْ
. . . . . .
. . . . . .
إنّه الأربعاء الحزينْ

نجح حمادى : عزت الطيرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الظـــــــــــــلال

محمد أبو الفضل بدارن

يتمدَّد حزنى فى الغربة ،
أُوصد باب سراديب ظنونى . .
أنقش فى ذاكرتى رسمى « مَنْ » طمسته الريح جنينا
لكنّى أوقن أن الريح ستفْنَى !
حين يناديني ظِلِّ أتحوّل لظلالٍ شتى
أتشبث بالأرض وأحفر فيها مثوىً للظلِّ فيدفننى . .
أتحوّل جذعاً لظلالٍ تَنبت من جسدى !!
تتمدّد عبر الأرض وتغدو أشباحاً شتى . . تُشبهنى
أستعطف ظلّى . . .
فيفاجئنى : من أنت ؟!

الظل الأوّل

أتطلّع عبر النهر وأسأله :
« يانهرَ الراين خبرِّنى عن وطنى »
يتكئ « الراين » فوق نهود امرأةٍ تركض فى النيل ، تعانقنى
يتظلّل ظلّى ، ويسافر فى النيل ،
أحادثه . . فيعانقنى ، نتذكرّ لمس الليل وقبلات الفجر إذا . . .
فيعانقنى نهر « الراين » ، يركض ظلُّ النيلِ . .

فتجرى كل ظلالى تتشبث بالنيل ، ويركض عبر شراييني فى الظلِّ ؛
فأجلس فوق « الراين » متكئاً فوق حنين امرأة حبْلَى . .
تتمخض حجرا !

الظل الثانى

مرسومٌ فوق الأرض ، ويبدو حين أفاجئه مرسوماً فى تذكارى !
حين أحاول ركض مسافات الصمت يجىء فأبصره يَتمشّى فى
أوردتى . . .
يتَبَخْتر عَبْر جوادٍ ذى ظلٍّ يتلاشى ،
يتمدّد ، يمتدّ سريعا ،
يأتينى ظِلِّ سعياً ،
ألقاه وحيداً يسأل عنى

الظل الثالث :

الظلال التى تدخل الآن فوق الحدود ، تسافر عبر « النوارس » ،
؛ تلك التى تبحث الآن عن ظلِّ شمسٍ يلوح من الشرق ،
تعرف نوْحَ اغتراب الرُّؤى . .
تجهل الآن كل اللغات
وتعرف همس الغناء ورقص الرُّبَى . . . . .
« نورسٌ » ضلَّ مخدعه ليلةً
وانحنى قرب نافذتى الموصدة
ــ « غريبان نحن ؟! »
ــ لا . . . غريبٌ أنا !

الظلّ الرابع

لّما كان الليل حزيناً مستنداً فوق جدار الصمتِ ،
أتته امرأةٌ . .
راودها . . . فاستعصتْ وأبتْ !
ساعَتها كنتُ أمزّق ظلى . .
فأتتنى لتراودنى فاستعصى ظلى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قالت : « هاتِ ثمارك كى تنبتَ شعرا
إن البذرة إن لم تسقطْ فى الأرض تَمُتْ ،
وإذا دُفنت تغدو ثمراً » !
قالت ، ومضت
وغدوت أكفّن ظلّى ! .

ألمانيا الغربية : محمد أبو الفضل بدران ــ بون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من زهـــرة أبـــــدأ

شـــــادى صلاح الدين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قلبى على الإنسان خبّأنى وأسلمنى النشيدا .
قلبى على الأحباب ينسوْن المواعيدا .
قلبى على قلبى .
سأدخل فى حصار النجمة الأخرى .
وأفتتح انكسارك فىَّ .
أختتم انكسارى فيكِ .
حبٌّ يبتدى ويموتُ .
أو حبٌّ يموت ويبتدى .
ما ذلك الأبدىُّ .
ما الوقتىُّ .
من أى الجهات أتيتَ يا هذا الغرامُ .
لتقتل الأحبابَ .

تهجرنى امرأهْ .
وأقول أهجرها .
وأغرق فى غنائى العاطفىِّ
ألوذ بالذكرى .
كأنى أوّل العشاقِ .
تهجرنى امرأهْ .
وأقول تنسانى .
وأمسك طيفها فى النومِ .
تهجرنى امرأهْ .
وأقول تأتى فى المساء .
وتشتهِى حُلْماً كحلمى .
أوتودّعنى كثيراً .

وترود موتاً كالصغار .
وتعشق العشق الأخيرا .

قلبى على الإنسان خبّانى .
وأسلمنى الزهورا .
من زهرة أبدأ .
من قصة للحب أبدأ .
من لحظة عاديّةٍ أبدأ .

قلبى على الأحباب .
هيّأنى الأحبّةُ للكلام .
فقلت إنسانٌ هو الأفْقُ الجميل .

وهيئونى لاصطناع العذر فاحتدَّ الخصامُ .
وهيئونى للغرام .
فقلتُ : ينسوْن المواعيدا .

قلبى على قلبى .
يوزعنى الفؤاد قصائداً .
فألُمُّ أشتاتى وأبدأ .
وأقول أحبابى .
وهذا الأفق مضطجع على قلبى .
وأبدأ .

المنيا : شادى صلاح الدين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اشتعل الورد فى الآنية

صلاح اللقانى

فلتسمحى لحمامة الريح الجديدة ، أن تُرَفْرِفَ ساعةً بينى وبينك
كى يطول العُمْر قرناً آخراً ، غير الذى عشناه أو متْناهُ
وسْط خرائب الذكرى
وَقَرِّى بين صُلْبى والترائب ، عَلَّنى أرتدُّ ماءً دافقاً
علَّ السماءَ تشيعُ فى جَسَدِى . .
فأصبح مَعْدنا متكوكباً
وأصير نوراً راسباً
فى جِلْدةِ الزمن الغليظةِ كى تُضىءَ
أصيرُ نبضاً
تحملُ الريح الجديدةُ جِسْمَهُ الشفافَ نحو غزالة الفوضى
فيلمسُ أذنها
أرتدُّ ناطوراً يمسُّ الأرضَ من طرف الخطيئة ، ثم يلمسُ
فى نهايته سماءَك ، أنتفى فيها
فسبحانَ الذى أسرى بوردته لسدرتهِ
وأشعل زيتَ قُدرْتهِ
وأيقظ قلبى المدفونَ فى ظلماءِ غفوتهِ
. . /وقالتْ
هذه حُرِّيتى ، أن أَخْلَعَ البدنَ اليحاصرنى وأصبحُ غيمةً
فأصابنى هلَعٌ وحاصرنى وجودى
كنتُ مثلَ حديدةٍ محبوسةٍ بحديدها

أو وردةٍ محبوسةٍ فى عطرها
أو قامةٍ محبوسةٍ فى طول قامتها
. . /وقالتْ
أستجيرُ من الطفولة بالنجومِ
وأستجيرُ من النجوم بخضرة الشمس الوريفةِ
أستجيرِ من العناصرِ
كى أظَلَّ على مَحَلِّ النورِ .
. . كان الأُفْقُ غُلاً
هالنى أنِّ خلعتُ طفولتى مثل الحذاءِ
وليس لى نجمٌ بخاصرتى
وأيامى ترابٌ شائعٌ فى أعينى
هل يطمع النعلُ الغليظُ بأن يرقَّ
يصير خدًّ جميلةٍ
أو يطمعُ الحَجَرُ المُسَنَّنُ أن يشفَّ
يصير ورد خميلةٍ
أو يصبح البازلتُ ماء سائغاً .
للعُمْرِ طَعْمُ الذكرياتِ
وليس فى الذكرى سوى ماء شحيحٍ
وانتصارات لها لونُ الهزائمِ
وانفجاراتٍ لها شكلُ الخمودِ
فهل ينام الذئبُ فى حضن ابن آدمَ
أو تعيشُ النارُ فى حِجْر الوليدِ
وهل يكون من النساءِ سوى فتاةٍ أو غلامٍ
كيف لى . .
وأنا ابنُ أنثى
أن أصيرَ يَدَ العواصفِ ؟
كيف أهجر طينتى وأصيرُ نورا
كيف يهجرنى دمى لأصيرَ أسمنتَ الوجودِ ؟
وقلتُ : هذا مَوْقِفُ الحَجَرِ المُفَتَّتِ كالغمامةِ
قلتُ هذا مجلسُ الدنيا على كتفِ القيامةِ
وانتظرتُ لكى أفُكَّ الليلَ من قمر الجنونِ
لكى أُنَفِّضَ عن بُحَيْرَةِ رغبتى بَجَعَ الكلامِ
وأكتب الدنيا بحبرٍ أبيضٍ ، يحمرُّ فى جوف الظلامِ
لعلّنى أغفو قليلا ، ثم أصحو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعد أن ترتَ الجموعُ مدينةَ الجرحِ
انتبهتُ ، وجدتنى فى موكب الأسرى محطمةً عظامى .

وانتبهت وجدتُها
فرَحاً يرتبُّ حُزْنَهُ فى دفتر الزمنِ
انكشفتُ بها
أطلت من ضلوعى
واستقرت فى مدى شجنى

انكشفت بها

أطلّتْ من خوا فى محنتى وقوادم الوطنِ
انكشفتُ بها
أطلّتْ مثل دُورىٍّ ، وغنّتْ فى أسى بدنى .

وقالتْ للرياحِ يدى
وللبحرِ انتظارُكَ
فاغتسلْ فى مائه عشرين عاما
كى يمسَّ الماءُ عظمكَ
واشتعلْ مثل الخُزامَى
ربما تضع الجوارحُ بيضَها فى عُشِّ قلبكَ
ربما تطأ الهواءَ وتدخلُ البيت الحراما .

قلت نارُك أمسكتْ ثوبى . . فخلّينى /
حصادُ العمرِ قَشَّ
والعصافيرُ التى مَلأتْ غصونَ الروحِ طارتْ
حَرِّرينى من تورّط شهوتى
من جوعِ كفّى
من نُبوُةِ مقلتيكِ

ومن حريركِ
من مناقيرِ النسورِ .

وحرِّرينى من أصابع وردةٍ
من جَمْرِ عاشقةٍ
تُفتّش فى ضميرى
حَرِّرى بدنى الذى لا يبتغى حريةً
من بعد أن مستهُ نارُكِ
وانتمى لمدينةٍ
تقفين فى أبوابها الخمسينَ ضاحكةً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتنتشرين فيها كالهجيرِ .

وَحَرِّرِينى

إننى أصبحتُ أبغى أن أكونَ بريقَ سيفكِ

عطرَ وردك

صوتَ رعدك

طعمَ شهدك

إننى المسؤول عن كل الجرائم منذ آدمَ

فاكتبى فى دفتر الأحوال إسمى

واكتبى عن كل أسلافى

وعن ذُرِّيتى

ما قاله التاريخُ

ما أخفاه تحت نقابه الذهبىِّ

ما وشّاه تحت نفاقه الملكىِّ

ما أخفاه تحت مخدّة السلطانِ

ما غنّاه وسط مقاصر الحور الخِدالِ

وَسَجِّلى أنى حملتُ بضاعةً مغشوشةً

فى سوق بابلَ

واختلستُ الخُفَّ من قدم المسيح

وأننى أطلقتُ شائعةً لدى النعمانِ عن أخلاق زوجتهِ

وأنى حَسْرَةُ العَرَبِ فى غرناطةٍ

وبكاءُ أحجار الطريقِ .

وَسَجِّلى أنواعَ حزنى

شكلَ إحباطى

مراوغة البريقِ

وَسَجِّلى ما قالهُ ريشُ القوادم للحريقِ

وسجلى إسماً جديداً للنهايةِ

واكتبى إسماً جديداً للبدايةِ

وادخلى قلبى الفَروقِ .

. . /وقالتْ

الدنيا تجىء إلىَّ فى حُلْمى فتىً ذا طُرَّةٍ حمراءَ

يأخذنى إلى تفاحةٍ ، فأفرُّ منه إلى غزالِ

أدعج العينين ، يشردُ كلما آنستُ ناراً

ثم يتركنى أطِنُّ على بنفسجةٍ ويرحلُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صرتُ عشباً أخضراً ، فازورَّ عنى ،
صرتُ نبعاً رائقاً ، وسْط الحجارة ، عافنى ،
فخلعتُ أعضائى ، وصرتُ له هواءً فوق هامتهِ ،
وعِقداً حول لَبَّتهِ ، ورملا تحت حافرهِ
فصار إذا تنفس يحتوينى صَدْرُهُ
وإذا تزيَّن يزدهينى عُجْبُهُ
وإذا تراكض فى الزمان تناثرتْ ذراتُ روحى حول رحلتهِ
. . وأرحلُ
ثم قالتْ :
كان سطحِ الأرضِ أضيقَ من مساحة قبضتى
فإذا مشيت تلاطمتْ ذاتى بذاتى ، وانشغلتْ
بضجة الأعضاء عن صوتٍ يدقُّ على نوافذ وحشتى
ورأيت نفسى فى شظايا النفس امرأةً بلا وجهٍ ،
بكيتُ لعلَّنى أهتزُّ من فرط البكاء ، فينثنى جذعى
قليلاً نحو ضوء الشمس ، كى يلتمَّ وجهى ،
لم يكن بينى وبينى غير بحرٍ من رمادٍ ، لم يكنْ
فى أفق قلبى طائرٌ ، فخرجتُ من جلدى لأبحثَ
عن طواويس الكلامِ .
رأيتُ قوماً يخبزون الوردَ فى قِدْرٍ نُحاسىٍّ
سألتهمُ طعاماً ، حين لُكْتُ طعامهم ، نَشَفَتْ
دمائى ، واستطارت همّتى .
ورأيتُ قوماً يذبحون يمامةً ، فسألتُ
ما ذنبُ اليمامة ؟ أخبرونى أنها حَمَلتْ
إلى ملك الرياح رسالةَ الأرضِ الحزينةِ .
ثم سرتُ ، رأيتُ بدواً يضربون خيامهم
فى فكِّ تنّين ، ويغتسلون وسْط لُعابهِ ،
يتنابذون ، يزوّجون بناتهم ، ويُهارشونَ
نساءهم ، فسألتُ كيف يطيب فى هذا المقامِ
معاشكم ؟ فأصابنى بالصارم الهندىِّ شيخُ
قبيلة منهمْ .
مضيتُ ، رأيتُ صاعقةً تضىء مدينةً ، فى بابها
فَرَسٌ حديدىٌّ ، دخلتُ ، رأيتُ خلقاً من حديدٍ
يملأون السوقَ ، سِرْتُ ، رأيت طفلاً من
حديدٍ ، فوق ثدى من حديدٍ ، حين جُعت دخلتُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خاناً فوق رابيةٍ ، مددتُ يدى إلى قِدْر
حديدىٍّ ، به ديكٌ حديدىٌّ ، وحين صَبَبْتُ
ماءً فى يدىَّ هوى بكفىَّ الحديدُ .

مضيتُ صوبَ سحابة بيضاءَ تخفقُ فى السماءِ
كأنها قلبٌ ، مشيتُ ، رأيت نُهراً تحتها ،
فيه إوزٌّ أخضرٌ ، حين اقتربت سمعتُ
صوتاً مثل صوتى فأتنست به ، وأدركتُ
المياه فحين مسَّ الماء وجهىِ زال عن
قلبى عَمَى أعوامِه العشرينَ .

سِرْتُ ، رأيت ناراً وسط وادٍ ، فاقتربتُ
لعلّنى ألقى هدىً فى ثروة الضوء الرحيمِ
فصادنى هذا الغزالُ الأدعجُ العينينِ .

. . /قلتُ
غزالتى أنتِ
ابتداءُ دمى
حدودُ الريحِ
دمدمة السَديمِ
تخيَّرى للجسم قلباً آخراً
للقلب جسماً كالغيومِ

تخيَّرى بدناً يرفرف مثل قبضة وردةٍ
رُمْحاً تهشم فى صميمى
وانقلى خطوى إلى أسطورة اللحم المُفَوَّفِ بالنجومِ .

دمنهور : صلاح اللقانى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

اختـــــــيـــــار

محمود عبد الحفيظ عبد العزيز

لَمْ يَزَلْ فى القصيدةِ مُتَّسَعٌ للنِّفاقِ . .
وفى الأَرْضِ مُتَّسَعٌ للسُّجُونِ . .
وفى الظِّلِّ مُتَّسَعٌ للطُّيورِ الأليفة .
فاخْرُجِ الآنَ أو فاسْتَقِمْ .
انَّه الآنَ يُعْطِى مَفَاتيح جَنَّاته للَّذين أقامُوُه ثُمَّ اسْتَقَامُوا ،
ويُثْبتُ فى دَفْتَرِ المَوْتِ أَسْمَاءَهُمْ .
كُلُّ شَىءٍ بمِقْدَارِهِ ؛
فَرْحَةُ القَلْبِ بالانْعِتاقِ ،
وَتَشْبِيهُ بَدْرِ السَّماءِ بِوَجْهِ الْخَلِيفَهْ .

الخليفةُ يُعْطِى عَلَىَ قَدرِ ما فى القصيدة مِنْ مَلَقٍ ،
ولِسَانُكَ تَعْرِفُهُ .
أَنْتَ ما قُلْتَ يَوْماً لَهُ يا ابْنَ أُمَّ ،
ولا يا ابْنَ عَمَّ ،
ولا أَسْكَنَتْهُ القصيدةُ بَيْتاً لها .
أيُّها الطِّفْلُ !
هل يَعْرِفُ الطِّفْلُ غَاصَتْ أصابعُهُ
أَىَّ عَيْنٍ ثَقَبْ ؟

مولَعٌ بالحجارةِ ، يَقْذِفُهَا ثُمَّ يَمْضِى ،
فلا يَعْرِفُ الدَّمَ مِنْ أَىِّ رَأْسٍ تَفَجَّرَ ،
حتَّامَ تُلْهِى الْعَصَافِيرَ بالحَصَيَاتِ . .
وبالفَرَجِ المُرْتَقَبْ . ؟ !

بَيْنَ دِجْلَةَ والنِّيلِ ،
تَرْكُضُ كُلُّ الخُيُولِ كَمَا تَشْتَهِى .
والذى أَبْدَعَتْهُ القَرَائِحُ لا يَنْتَهِى .
فاعتَصِمْ بالجُمُوعِ الَّذين لَهُمْ وَطَنٌ لِلْبُنُوكِ ،
ولِلْقَوْلِ فى كُلِّ سُوقٍ وَطَنْ .
لَسْتَ مُتَّهَماً بالنِّفَاقِ ،
ولكنما تُسْكِتُ البَطْنَ بالانْحِنَاءْ !
أَوَ مَا كَانَ مِنْ عَجَبٍ أَنْ يَعَضَّهُمُ الجُوعُ ،
والسَّيْفُ يَأْكُلُهُ غِمْدُهُ ؟!
أَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ السُّيُوفَ تَرُدُّ المُغِيرِينَ . .
لكنَّ سَيْفَ الخَلِيفَةِ هَدَّ البَدَنْ .
فامْتَشَقْتَ القَصِيدَةَ ،
والسَّابِقونَ اسْتَعاروا لِوَقْعِ اللِّسَانِ الحُسَامَ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هَلِ الْكَلْمُ إلاَّ الْكَلاَمُ . .
لهذا زَمَنْ .
ولهذا زَمَنْ !

الزَّمانُ اسْتَدَارْ .
والَّتى أَنْتَ فى بَيْتِها غَلَّقَتْ كُلَّ أَبْوابِهَا .
والعصافيرُ تَغْدو خِماصاً ،
فحتَّامَ ياسيّدى لا تَعودُ بِطَاناً . .
وحتَّام أَنْتَ هُنَا . .
قابِعاً ،
تَرْشُقُ النَّاسَ باللَّا مُبَالاةِ ،
تُوقِعُ بَيْنَ الأَمَانىِّ ،
حتى إذا احْتَدَمَ الطَّعْنُ ما بَيْنَهَا اخْتَرْتَ واحدةً . .
لِتُسَاعِدَهَا ؟

هل تُريدُ لِتُصْبِحَ وَاحِدَهَا ؟
إنَّها تَخْلَعُ الآنَ كُلَّ مَلاَبِسِهَا ،
انَّها تَعْرِضُ الآنَ أَزْيَاءَهَا ،
وَتَخُصُّ بِأَحْلَى المفاتِنِ سَيِّدَها .
انَّها تَقْفِزُ الآنَ بَيْنَ الموائد تَجْمَعُ أَعْقَابَهَا ،
فإذا أَوْغَلَ اللَّيْلُ عادَتْ إلى غُرَفِ اللَّيْلِ ،
تَحْمِلُ رَأْساً أَدَارَ الثَّنَاءُ ،
وَقَلْباً يَدُقُّ عَلَى خَطْوِ مَنْ بالعَشِيَّةِ وَاعَدَهَا .

جَدْوَلٌ مِنْ حَليبْ .
جَدْوَلٌ مِنْ عَسَلْ
والَّتى اخْتَرْتَ لافَضْلَ مَاءٍ ولا فَضْلَ ظِلّ
فارْجِعِ الآنَ . .
أَوْ خَفِّفِ الوطءَ . .
أَوْ فَاحْتَمِلْ ! .

كفر صقر ـ شرقية ـ محمود عبد الحفيظ عبد العزيز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أولى الزبرجدات

حسن طلب

تبرَّجت القصيدةُ لى
وكلَّمنى الزَّبرْجدُ
قالَ : من تهوَىٰ ؟
فقلتُ : غوايةً
فى غير وقت الغىِّ تذهبُ بى
فأذهبُ
قالَ : من أغْواكَ ؟
قلتُ :
الشَّادِنُ الأحْوَىٰ
فشدَّ يدىَّ
قرَّبنِى من الملكوتِ
أطْلعنِى
على رمزٍ لمْوزيْنِ
أقرأنى سلامَ الله
قالَ : ألاَ
لِأمْرٍ تطْبيكَ الآنَ أشكالٌ
بلا فحوىٰ
فكنْ أقوىٰ
وَرُدَّ على البنفْسج
ما اطَّباك به البنفسجُ

لا يُراودْكَ البنفسجُ بالشذَىٰ
إذْ ما البنفسجُ ؟
عورةُ اللغةِ البتولِ
حِرُ الطبيعةِ حين تعرَىٰ
الزَّبرجُ[1]
النصُّ المدبَّجُ ؟
ذِكرياتُ الياءِ
ماءُ الماوراءِ
الفتْنةُ
الولَهُ

التهيُّجُ ؟
ما يحطُّ به مَلاكُ العشقِ
بين العارِيَيْنِ
ويعْرجُ ؟
القططُ المقدَّسةُ
المواءُ الغامضُ
الشَّبقُ البدائىُّ
الذِّراع
الدُّملُجُ ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأشياءُ إذ تتأجَّجُ ؟
السِّحرُ الحرامُ
البرعُمُ المتبرِّجُ ؟
الخَوْدُ الخَدَلَّجُ ؟(٢)
ما البنفسجُ كى تزوِّجَهُ الحروفَ العشرةَ الكبرَىٰ
تشيرَ به إلى شبحِ الحقيقةِ
أو تدُلَّ بهِ
على ما ليسَ يُوجَدْ ؟!

*

رُبَّما كانَ هذا السؤالُ مفاجَأةً
كنتُ مسترخِياً
فوقَ ياءِ المخاطَبَةِ الأُنثويَّةِ
واللغةُ البكرُ تركعُ بين يدىَّ
وتسجُدْ
كانَ هذا السؤالُ مفاجأةً :
ما البنفسجُ حقّاً ؟
وما هو جِنسُ العَلاقةِ
بين المجازِ
وواقعِهِ المتجسِّدْ ؟

ما البنفسجُ ؟
هل هو فى ذاتِهِ واحدٌ ؟
كثرةٌ من عبيرٍ ؟
هوىً ينتهِى حينَ لا ينتهِى ؟
زمنٌ من حرير ؟
هواءٌ مجرَّدْ ؟
كنتُ مستسلماً
والأنوثةُ تجذِبُ صُوفيَّةَ الوقتِ
نحو مَقامِ الغناءِ
وماءُ القصيدةِ دونَ المسيلِ
وفوقَ التجمدْ
قلتُ :
فَلأَدْنُ شيئاً من الخطرِ المستطيرِ
دنوتُ . .
توسَّلْتُ بالعينِ والفَرْقدَيْنِ
وطقْسِ المنامِ المطيرِ
نظرتُ إلى البجعِ المَتجمع
حول الغديرِ
هتفتُ : ألا
ماهذى القواريرِ
تأخذُ شكلَ الخريرِ
ألاَ مالَها تستجمُّ وتهجدْ ؟!
ودنوتُ قليلاً
نفضتُ الذى قد تبقَّىٰ على بدنى
من غُبارِ الأساطير
ثم تخلَّصْتُ من جُبَّةِ الرمْزِ
ردَّدتُ تعويذةً من كتابِ التناسخِ
ثم لبستُ قناعَ التجدُّدْ
وتخيَّرتُ من عنصرِ النارِ لى
زهـــرةً
وجمعتُ إلى جمرةٍ جمرةً
وجعلتُ على ذلك اللهبِ الحرِّ
أرقـــصُ

صحتُ :
أيَّتُها الكلماتُ التى زُوِّجَتْ
والتى لم تُزوَّجْ
فاتَكِ اليومَ عُرْسُ البنفسجْ
إننى الآن مُستبدِلٌ
ببنفسجةٍ من كتابِ الفؤادِ
زبرجدةً من ترابِ البلادِ

ارقُصى فوق هذا اللهيبِ المقدَّسِ شيئاً
وإلاَّ
فَظَلِّى على ما تظلِّين فيهِ
ادخُلِى حيثُ أخرجْ
سوفَ تلقينَ حتفَكِ
عند تمامِ النشيدِ
تَصيرينَ ترتيلةً
يتسلَّىٰ بها الميِّتونَ
وراءَ الوصيدِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليحيا بها كهنوتُ البنفسجِ
آهِ البنفسجُ
عِفْتُ البنفسجَ
ما البنفسجُ ؟
طوطمُ الشِّعرِ المتوجُ ؟
ما سيصعدُ من شذًى مُرٍّ
تخلَّقَ من تلاقحِ نيزكينْ اثنينْ
أو ما يَنتجُ ؟
الجدلُ الذى يُفضِى إلى عدمٍ
إذا لم يُسعِفِ المتحاوِرَيْنِ المنهجُ ؟
الشصُّ الخصوصىُّ
السَّرابُ
العوسَجُ
الشيطانُ فى زِىِّ الملائكةِ
انفعالُ الله
هندسةُ العواطفِ
خيطُها المتعرِّجُ ؟
الرَّملُ المُصنَّعُ
وردةُ العشاقِ وقتَ ذُبولِها
وَوصيَّةُ الموتَى

إذا ما حَشْرجُوا
ما البنفسجُ حقّاً ؟
كنتُ منتبهاً
والقصيدةُ طوْعَ بنانى
وما عادَ هذا السؤالُ مفاجأةً
لا ولا البجعُ المتجمعُ يسجدْ
فهتفتُ :
أأيتُها الكلماتُ التى تُجُدتْ
والتى لم تمجَّدْ
ادْخلِى فى زمانِ الزبدجدْ
واخْرِجى من جهاتِ الهوَى الأربعِ
وتعالَىْ معى
سوف نجعلُ ديباجةَ المطْلَعِ :
ما بين الوردةِ والحجرِ
مضاهاةً لفراغِ الروحِ
ومزدَجَرٌ للضَّجرِ
فكُونى بين المستويَيْنْ
أقِيمى بين التُّربةِ والشَّجرِ
وذوبى فى الضِّدَّيْنِ
أو انفجرِى

القاهرة : حسن طلب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) الزبرج : الحلية والزينة من وشي أو جوهر .
(٢) الخدلج : الممتلئة الذراعين والساقين .

الحـــــــــالم

عبد المنعم رمضان

فى أوّلِ ظلٍّ
كانَ على طاولتى
ورقٌ أبيضُ
وسَماواتٌ
تحشدُ كلَّ عساكرِها
ليصيروا عَسَساً
يختلسونَ من النّاسِ الأحلامَ
وفى صهْريجٍ
من نارٍ ونحاسٍ
كانَ ملائكةٌ
يُلقون بأجْولةِ الأحلامِ
ويشتاقونَ لأن تُسكرهم
رائحةُ الأبخرةِ
وما إن تصبحَ زيتاً
حتى ينزف فى أنبوبٍ دخّانىٍ
يصل إلى خزّانِ الضّوءِ

هنالك
كان المَلَكُ الأوّلُ
يُعطى النجمةَ ما تحتاجُ
ويُوصيها
أنْ تمشى متباطئةً
حتّى تعْلقَ فى أهدابِ الليلِ
ويُوصيها
أنْ تُوحىَ للبشرِ الفانين
فيحسبَها المفتونُ قطيعاً من أثداءٍ
والمفتونةُ سُرَّةَ مَنْ تعشقُهُ
كانت أقمارٌ تتسكّعُ
كى ينسابَ الليلُ
إلى أطرافِ الأرضِ
ويرشدَ بعضاً من فِرقِ التنظيفِ
وفيما جاءوا
كانوا يجتازون النّفقَ الصّاعدَ
من كوكِبنا
حتّى السّقفِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فنشهد بعضَ الأحذيةِ السوداءِ
المطّاطيّةِ
بدلاً عن نجماتٍ
ليست عذراوات .

٢

لن أغسلَ السّماءَ
إنّها مملّةٌ
ولستُ أملكُ الممسحةَ التى تكفى لها
ولستُ أستطيعُ أن أجرَّ
من حرائقِ الحلمِ
خليّةً
تصلحُ أن يلفّها الوقتُ علىٰ إصبعِهِ
أخافُ أن أحشو دمى
بغيمةٍ
أخافُ أن أحصدَ من أصابعى
بقيّةَ النجومِ
ربّما الطيورُ حينما تهبطُ فوقَ الأرضِ
حينما تبحثُ عن شجيرةٍ
آيلةٍ
وتستحمُّ بالهواءِ
ربّما تكون محْضَ صدفةٍ
أنْ أستوى إلى جوارِها
وآكلَ الحَبَّ الذى تأكلُه
أُنشّفَ الملابسَ الزرقاءَ
خشيةَ الحلمِ
على جبهتِهِ
رفٌّ من العصافيرِ
التى تعلو على الدّوامِ كلّما هيّجها الرصاصُ
فى أكمامِهِ
أوديـــةٌ
بها أساورُ
وجســـدٌ
إذا فركتُ جِلْدَه
أفـــاقَ
كى يُهدِيَنى صرّتَه
وما تضمُّه من الوصايا : ــ
أوّلاً : أن أذكرَ السماءَ مثلما أذكر بعض البدوِ
ثانياً : أردَّها إلىٰ مسكنها لكى يكون مسكنى
منضدةً
وكرسيّين
حائطاً به نافذةٌ كأنّها الدرويشُ
غرفةً للنومِ
سقفُها من الإسمنتِ والحديدِ
واطـــئ
يسمحُ للصراخ أنْ يقْتاتَ
من شفاهِنا
وأنْ يشفَّ
ثالثاً : أن نكترى ممسحةً تُزيلُ ما تُنزلُه السماءُ من عكارةٍ
ورابعاً : تكون فى أعضائنا حنجرةٌ للصّمتِ
هكـــذا
نخافُ أن نسيرَ فوق الأرضِ
هادئَيْنِ
نستريبُ فى عدولِها عن الغناءِ
فى عكوفِها علىٰ تدليكِ ساقِها
فَجُبَّةُ السماءِ
رثّـــةٌ
وتمنحُ المشاةَ هيأةَ المحاربين
وتمنحُ الوقوفَ هيأةَ العُصَاةِ
تكتفى بأن تظنَّ الأرضَ كلَّها
مزرعةً لها
لكنّها الأرضُ التى تضحكُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عندما ترى حدودَ جسمِنا
فيما تضيفُ عُرينَا إلى صفاتِها
تهزّنا كأننا

صوتانِ
مائلانِ
إن تلامسا واشتبكا
تحوّلا طفلينِ
طائشينِ
يلعبانِ فى سريرِها
ينفصلانِ
يُصبحانِ غيبةً

أطفو على مياهِها
أصيرُ واحداً
يحرسُه أطفالُه وزوجُه
ويتّقيهِ النَّفرُ القليلُ
يعرفون أننى مُسِستُ

كلُّ غيمةٍ
سألحسُ الفضاءَ تحت بطنِها
تصيرُ قفصاً
أو خوذةً ألبسُها
حتّى يجىء الليلُ حاملا سرواله

فيما أعلّق السروالَ فوق ظلِّهِ
سأقتضيه أن يرشَّ جسمَه بالطينِ
أن يدعكَه بورقِ البردىِّ
أن ينالَ من دمى
كُراته الحمراءَ والبيضاءَ
ربما تصلحُ للإغواءِ
أو
للحقد .

٣

فى آخرِ ظلٍ
يجلسُ زنديقانِ
وبينهما بوّابةُ ما لا يفنى
ما لا يفنى
عيّارونَ
وعتّالونَ
وناسٌ يتكئون على أفئدةٍ
من ماءٍ وترابٍ
ومزاميرَ
إذا ما دخلَ الزنديقانِ البهوَ
اقتطفا لغةَ الحيواناتِ
وما يتبقّى من ذاكرةِ الموتى
عرفا كيف يُغيرانِ على الحارسِ
يختطفان يديهِ
ولمّا اختطفَ الزنديقان يديهِ
اختطفا عِرْقَ المجدِ
فرأيـــا
كيف انحلّت رائحةُ الأشجارِ
وكيف اجتمعَ البدوُ الرحّلُ
ظنّوا أنَّ الوقتَ هو المملوك
وأنَّ سوادَ الأرضِ
رداءُ
ألبسها إيّاه الحلمُ
وألبسهم إيّاه
ففركوا الحلمَ
أذابوا منه قليلاً
فى بئرٍ
واغتسلوا .
الزنديقان اغتسلا أيضاً .

شعر : عبد المنعم رمضان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ماقاله السيد للسيدة

محمـــــد آدم

« إلى أين تمضى ياجِلْجَامِشُ ، إنَّ الحياةَ
التى تَبغى ؛ لن تَجِدْ »

ملحمة جلجامش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

. . . ،

اندهشَ السيدُ من كلامِ السّيدة ،
ورنا إليها ، ببصَرٍ مُنْجَرِدٍ ، وهو واقفٌ على حَافَةِ الليلِ ،
يرقبُ تحولاتِ النهارِ ،
أليستِ القيامةُ ، أقربُ إليَّ من امرأةٍ ، أعرفُ تفاصيلَ جَسَدِها ،
وحنطةَ بطنِها ،
وعجينَ سُرَّتِها ،
وهى ممكسةٌ بِزِمامِ وقتِىْ ،
وأنا واقفٌ أراقِبُنى ، على شَجَرِ التَّحولاتِ ،
وأقاليمِ الرؤ يا ؟!
عنـــدئذٍ ،
انتبهت السيدةُ إلى كلامِ السيدِ ، وضحكتْ وبكتْ ،
وأخذتْ تقرأُ بصوتٍ ،
رَحْبٍ ،
ما بينَ سُرَّتى وجِسْمى ، روضةٌ واسعةٌ ، لا يعرفُ مَدَاها أحدٌ إلاّ بِى ، فخلِّ عنكَ ، وتخلَّ عنى ،
فهلْ تعرفُ أيُّها السيدُ ، لماذا أتخفَّى عنكَ بالليلِ ، والنهارِ ،

ولا أنكشِفُ إلا لِي ؟
قُمْصَانِي هِيَ المَاءُ ، ولُغتِي هِيَ الأرضُ ، وما بينَ كلِّ قميصٍ ، وقميصٍ ،
مسيرةُ ألفِ عامٍ من الموتِ ، والحياةِ ، فكيفَ تصلُ إلىَّ أيها السَّيدُ ، وهِيَ بعيدةٌ ،
فلا يبلُغَها السَّائِرونَ نياماً ،
بعدَ ميتاتٍ كثيرةٍ ، وحيواتٍ غَالِبةٍ ،
وما بينَ لُغتِي والأرضِ ، أكبرُ مما بين السَّمواتِ ، والأرضِ من تَفَاوتٍ ، وكلامٍ هو كلامُ البرازخِ ،
ولكنكَ لا تعرفُ ، فلا يَفُكُّ رموزَهُ إلا أصحابُ الضُّحىٰ والليلِ ،
ولا يقتربُ من شفرتِهِ ، إلا ألو العَزْمِ من الأخِلاَّءِ ، والأصفياء ، وَمَنْ أَذِنْتُ لَهُمْ ،
من أصحابِ الحَاجَاتِ من العشقِ
وطُلاَّبِ الموتِ الحميمِ ،

هذهِ سَبِيلِي :

سَهَرٌ بالليلِ ، ووجعٌ بالنهارِ ، إلى أن تقومَ الأرضُ من قِيامَتِها ،
وما أنتَ بِقَادِرٍ ،
علىٰ أن تؤدى لِي ثَمانِيَ حِجَجٍ (فإن أتْمَمتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ . . .)
وأنتَ بَاخِعٌ نفسكَ على أن تراني ، فهلْ لكَ فى حَاجَةٍ أخرىَ ، ورغبةٍ دفينةٍ ،
كىْ أؤدِّيَها لكَ فَلَنْ تراني قبلَ هذا ومن بعدُ ، إلى أنْ تموتَ ،
ويخيِّمَ على الأرضِ الظلامُ ،
ويَنْشَقَّ الشمسُ والقمرُ ، وما أنتَ بصاحبٍ لِي ،
فعلى أىِّ شىءٍ تترقبُ وصولِيَ ، من سَفَرٍ هو النَّصَبُ ،
وهذِي هِيَ العيرُ قد أقبلتْ ،
وما لَكَ فيها من صَاحِبٍ أو غُلامٍ ،
فننظرَ إليهِ أو نَسْأَلُهْ ،
إرْجِعْ إلى أهلِ بيتكَ ، كىْ يَكْفُلُوكَ ،

فلا حولَ لكَ فى هذا ، ولا حَوْلَ لِي ،
فقط هِيَ أحْوَالِي ، وَمَقامَاتِي ، ولَكَ فِيها مِنَ العَذَابِ ،
بِقَدْرِ مالِيَ فيها من النِّعْمَةِ ،
فَبِها وعليها أتَرَقَّىٰ دَرَجِي ، وأصْعَدُ مُنعَطَفَاتِي وبُرُوجِي ، إلى أن تبلغَ منِّي الروحُ الحُلْقُومَ ،

وأمضى إلى بلدٍ ، قَفْرٍ ، فأنصبُ خِيامِي ، وأُعلنُ على المَلأِ نَبأَ اسْتِشْهَادِي ،
وأُقيمُ صَلَواتِي ، وأُقَدِّمُ أدعيتِي ، وأَذْبَحُ قَرَابِينِي ،
إلى أنْ تَشَّقَقَ الأرْضُ ، وَيَتَفَجَّرَ منها المَاءُ ، ، وأَجْمَعُ الشَّمسَ والقَمَرَ حَوْلِي ،

لِكلامِى شَبْهَةُ المَحَبَّةِ ،
ولجِسْمى غوايةُ الشَّياطين ،
وأنتَ ذاهبٌ نَفْسَكَ حَسَرَاتٍ ، ما بينَ شُبْهةِ المَحَبَّةِ ، وغِوايةِ الشَّياطينِ ،
ولا تُقَتِّش فى الأرضِ إلا عن قِيامَةٍ ، أخيرةٍ ،
لِـــىْ ،
ها أنذا أنظرُ إليكَ ، فَهَلْ تتعقَّبُنى أيُّها السيدُ :
آخرجْ من تابوتِ الجَسَدِ ، وأَزِحْ غِطَاءَ جِسْمِكَ عنكَ ، ولا تَكُنْ كَصَاحِبِ النَّارِ ،
وَتوقَّفْ أَمَامَ كلِّ امرأةٍ ،
فِـــىَّ ،
فإن اسْتَقَرَّ الجَسَدُ مكانَهُ ، وثَبُتَ الحالُ على الحَالِ ،
وانعقدت أطْرَافُ المَوتِ الحَمْراءِ ، بينَ تَرَاقِيكَ ، وَتَرائِبكَ ، فاخْلَعْ نعليكَ ،
وآخْرُجْ من تَعَبِكَ ونصبكَ ، إنَّارادُّوكَ إلى أهلِكَ ، فى أدنى الأرضِ ،
كىْ تَقَرَّ بهِمْ عيناً ،
ويَقَرُّوا بِكَ عَيناً ،
ولْتَبْدَأْ من جَدِيدٍ ، موتاً متكرراً جَديداً ، وَسَهَراً تَعِباً ، وأنتَ بأعيننا ، فلا تَخَفْ ،
ولا تَبْتَئِسْ ،
وقِفْ . . . ،
إلى أنْ أخرجَ عليكَ بطوفانِ أَسْمَائِى ، وشَارَاتِى ،
وأتَعَقَّبُكَ فى كلِّ وادٍ تقيمُ فيهِ ،
وعندَ كلِّ جماعةٍ ، تَحُلُّ بها ضَيفَ سَفَرٍ ، وعَابِرَ سَبِيلٍ ،
إلى أنْ أُتِمَّ نِعْمَتى عليكَ ، وأَهبُ لكَ لَحْظَةً واحدةً ، لا تدخُلُ فى عَدَدِ السِّنينَ والحِسَابِ ،
وهِىَ ليستْ من الزَّمنِ فى شىءٍ ،
فلا هوَ موصولٌ بها ، ولا هِىَ موصولةٌ بهِ ،
أليستْ هذهِ رغبتكَ أيُّها السَّيدُ إذنْ ؟
هكذا ذَهَبَ السَّيدُ إلى حَالِ سَبيلِهِ ،
وَمَضَىْ ،
لا يعرفُ فى أىِّ بَلَدٍ هَوَ ،
وأخذَ يَقْطَعُ الليلَ فى النهارِ ، ويَقطَعُ النَّهارَ فى الليلِ ،
وقالَ فى سِكُونِ نَفْسِهِ ،
سأنتظرُ سفينةً أخرى ،
لِتَحْمِلنِى إلى امرأةٍ بعينِها ،
فَلِما كانتِ المرأةُ إذَنْ علامةً على السَّهَرِ والحُمَّى ؟؟
وكُلَّمَا مَرَّ على أهلِ قريةٍ ، وأرادَ أنْ يُضَيِّفُوهُ أبوا ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وراحوا يَرْجُمُونهُ بالحِجَارَةِ ،
ويَطْرُدونَهُ من بَلَدٍ إلى بَلَدٍ ،
ويُطْلِقُونَ خَلْفَهُ الكِلابَ الضَّالةَ ، وقِطَطَ الظَّلامِ الهَرِمَةَ النَّهِمَةَ ، فَتَنْهَشُ عَظْمَهُ ولَحْمَهُ ،
وهو يَهُشُّها فلاتَهُشُّ ، وهِيَ تَتَهارَشُ من حولهِ وَتَزُومُ ،
ويَطْرُدُها فَتُطَارِدُهُ ،
إلى أنْ دَمِيَ الجَسَدُ ، وابتلَّتِ العروقُ بالوجعِ والظَّمَأِ ،
ورأى : أنَّ مياواتِهِ تسيرُ من خلفهِ على حِجَارةِ الأرضِ ، جُثَثاً . . جُثَثاً ، وهِيَ تَصَّايَحُ ،
فكيفَ يهربُ من الحُمَّى بالوجعِ ، ومِنَ الوَجَعِ بِالحُمَّى ، والبحرُ ليسَ ببعيدٍ عن هُنا ،
وهو نائمٌ ويقظانُ رأى :
رجالاً كثيراً يبكونَ ، ونِسَاءً يُطَوِّقْنَهُ بمناديلِ الفرحِ والوَدَاعِ ،
أيُّها السيدُ : أينَ دارُ السَّيدةِ ،
أيتُها السيدةُ : أينَ هِيَ دارُ السيدِ ، فَنَزلَ إليها ، ونحتمى بها ؟
انكَشَفَ سِترُ الجَسَدِ إذَنْ ،
ولاذَ كلٌ من السَّيدِ والسَّيدةِ ، بالفِرَارِ إلى أرائِكِ النَّومِ الحَمراءِ ، وَمْملكَةِ الحُلْمِ الرَّحِيمِ ،
وبقيا حتى ساعةٍ ،
متأخرةٍ
يَتَقَلَّبُ كلٌّ مِنْهُما على فِرَاشِهِ ،
فوقَ شَرَاشِفِ المَحَبَّةِ ، وعناقيدِ الرَّغبةِ المُحْتَدِمةِ ،
وانطلقَ حديثٌ دافئٌ ، يعلنُ عن بدءِ وصولِ السَّيدةِ ، إلى حَافَّةِ النَّومِ ،
فَخَلعَ السَّيدُ أعضاءَهُ عُضْواً ، عُضْواً ، وانْخرطَ فى بُكاءٍ مُرٍّ ،
وانخرطتِ السَّيدةُ ، فى لَهْوٍ ولَعبٍ ، وزِينَةٍ ،
إلى أن انتبَه السَّيدُ إلى الوقتِ ،
فَتَشَاغَلتْ ــ عنه السَّيدَةُ ــ
بالحُلْمِ ،
وهِيَ تُشِيرُ إلى جُثَثِ الذَّاكِرةِ ، أنْ تَدْخُلَ طَقْسَ الرَّوْيا ،
وإلى الجَسَدِ أنْ يَتَخَفَّى فى سَرَاويلِ النُّعَاسِ الفَضْفَاضَةِ ،
الرَّحْبَةِ ،
هكذا امْتَلأَتِ السَّمَاءُ بِالسُّحُبِ ، وأَرَاقَتْهُ على الأرضِ ماءً
بِقَدَرٍ ،
وَغلَّقَتِ السَّيدةُ الأبوابَ وقالتْ : هلْ تريدُ أنْ تَرَانِيَ أيّها السيدُ ؟
أنا أقربُ إليكَ منكَ ،
وأنتَ أقربُ إلَيَّ مِنِّي ،
فَمَا هو قَولُكَ ، وعلامَ تُقَلِّبُ علينا أهلَ بيتٍ لنا ، وكلَّ من يقابِلُكَ من صَحْبى ، ونَدَامَاىَ ،

وهَاهُمْ أهلُ بيتِكَ ، يَضْحَكُونَ ولا يَبْكونَ ،
وهمُ ينظرونَ ما أُعطى لهمْ من نعمةٍ ، وما أَفِيءُ عليهم من مَحَبَّةٍ ،
وما أُجْزِلُ من عَطَايَا ، وَمَواقِيت ،
آن للجَسَدِ أنْ يَلْتَحِفَ بِعَرَائِشِ النُّعَاسِ ،
وللنُّعَاسِ أنْ يلْتَحِفَ بِغَرائِزِ الجَسَدِ ،
فَيُسَلْطِنُهُ ،
لِمَرْمَرِ جِسْمِكِ أبدأُ تَذْكرتى بِالسَّفَر ،
للمسافةِ مطويةً ، فى قميصى أنحَلُّ بارجةً ، من بُخَارٍ قَدِيمٍ ،
فأبحرُ صوبَ الشَّواطىءِ ،
والذَّاكِرة ،
إنَّها لغةُ الحُلْمِ ،
تُشْرِقُ بِي ، من أوَّلِ الصُّبحِ حَتَّى حدودِ الضُّحى ،
وتقيمُ الكلامَ على حَجَرٍ نَاتِىء ، وتصاوِيَر من زَبَدٍ فَارِغٍ ، لتقيسَ المَسَافَةَ ،
بينى وبينَ ممالكِ جسمكِ ،
بينى وبينَ ممالكِ جسمكِ أرضٌ بعيدة ،
وهذا دَمِى أصْطَفِيهِ من النَّارِ ، والمَاءِ ،
أجْعَلُهُ قبضةً فى يمينكَ ،
والأرضُ خاتم عُرْسٍ أُسَوِّيهِ بينَ يديكِ ،
وأنسجهُ من رَمَادِ السَّمواتِ والأرضِ ، شعلةَ ضوءٍ ،
مبللةً ،
بالترائبِ ،
والرَّغَبَاتِ ،
افتحى جَسَدَ الحُلْمِ ، وامنحى الذَّاكرةَ بَهَاء، التَّخيُّلاتِ والرؤى ، وصلابَةَ التَّلاشِى ،
وكونى إذا أخْرَجَ الليلُ أثقالهُ حُلَّةً ترتدينى ، وترتدُّ بِي ، كىْ أجوسَ الدِّيارْ ،
فأمنحُ صوتى بهاءَ الكمالاتِ ، من جَسَدٍ مُوْرِقٍ ، وأراضينَ تَغْسِلُ وجهَ النَّهارِ ،
بأول حرفٍ من اسمى ، وآخرِ حرفٍ من اسمكِ ،
اسمُك : سيدةُ الأرضِ ،
واسمُكِ :
جوهرةُ السَّمواتِ ،
على بابكِ الملكىِّ افترشتُ دمى ، ثم أوَّلتُ ما يكتبُ الرمز ،
وما لا تَقْدِرُ عليهِ لغةُ الاشارةِ ،
من معنىٍ هو الحقيقةُ ،
وحقيقةٍ كأنها الحلمُ ولا شأن لِي ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فَخُذِى من جَسدى وكلماتِ ، ما يتعبُ فى تأويلهِ علماءُ الكلامِ ، وأساطِينُ الحرفِ ،
وهمْ غيرُ قادرينَ عليه ، واسأليهم سَيّداً . . سيّداً ، ورهْطاً . . رَهْطاً ،
عن هذا الذى يقولُ ما يقولُ ، وبأىِّ لغةٍ يكتبُ ما يعرفُ وما لا يعرفُ ،
ولماذا يتقوَّلُ علينا ، بما لا يعرفُ ، وما لا طاقةَ لنا بهِ ، ولا قدرةَ له على احتمالهِ ،
ووصفِه ،
فلن يجيبوكِ بشىءٍ مما يعرفونَ ، ومما لا يعرفونَ ، وسيقولونَ :
أبعدوا هذه المرأةَ عنا ،
نحنُ نَتَصَبَّبُ من تَعَبٍ وَعَرقٍ ، وهى تَضَّاحَكُ علينا ، فبيننا وبينها ، تاراتٌ قديمةٌ ،
ورحى حربٍ لا نخرجُ منها إلا منكسرينَ ، ومُتَسَرْبلينَ ببقايا الدَّمِ ،
وخرائبِ الجنازاتِ ،
وهنالكَ قتلى وأسرى لا نُحْصى عَدَدَهُمْ ولا هم يرغبونَ ،
وبيننا أراض شاسعة لا نَقْدرُ على عبور مهامهَا
لا بالليلِ ولا بالنهارِ ،
ولا هى نائمةٌ ،
ويقظانةٌ ،
فَخَلَعَ السَّيِّدُ أعضاءَهُ عضواً . . . عضواً ، وانخرطَ فى بكاءٍ مرٍّ ،
وانخرطتِ السَّيدةُ فى لَهْوٍ ، ولَعِبٍ ،
وزينةٍ
إلى أن انتبهَ السَّيدُ إلى الوقتِ ،
فتشاغلت ــ عنه السيدة ــ بمراقبةِ عُشاقِها ،
ولغةِ حواريِيها ،
فأوليتُ نفسى غوايةَ تأويلِ حرفينِ ، كُــ . . . نْ . . . ،
كنتُ ناراً على قُبَّةِ الوقتِ ،
آويتُ جسمى لجسمى ، ادَّرَعْتُ بشالِ الضّحى ،
وعيونكِ منقوشةٌ كالفَرَاشِ على جَبَلٍ شاهقٍ ،
كيف أصعدُ نحوكِ أيتها المرأةُ الشاهقة ،
كيف أخلعُ قُفَّازَ جِسمى ،
وأُعلنُ للماءِ أنى استويتُ على الأرضِ أغْرِسُ فيها جحيمى ، وأبحثُ عن جنتى ،
(ليسَ لى غيرَ قيظِ اسمِها)
وخطاىَ ،
خطىً تَتَعَثَّرُ فى شَجَرِ العَرْشِ ،
والملكوتِ ،
وكيف أدثر نفسى بوقتٍ ، هو الوصلُ ، لا تبعُدى عن خطاىَ إذنْ ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نحنُ اقتربنا من الأرضِ ،
ها هى ذى تتلفعُ بالموتِ ،
والرغباتِ الأثيمةِ ،
هيا انثرينى على جنةٍ ــ عرضُها السمواتُ ، والأرضُ ــ كى أتبوأَ فيها مكانى ،
وأشعل بعض خطاىَ ،
من أنتَ ؟
ومَن أنتِ ؟
بيننا : تسكنُ البلادُ ، وتزدهرُ صناعةُ الكيمياءِ القديمةِ ،
وغناءُ الفلاسفةِ ،
ولا نعرفُ غير اللهوِ ،
واللعبِ ، وتفاخر المودات والنسبِ الكريمِ ،
ولا يكون لنا غيرُ أصدقاءَ حميمينَ ، نتفرسُ فى وجوههم ، فنعرفهم بسيماهُمْ ،
ونتقرَّبُ إليهم بالليلِ والنهارِ ،
فيتقربون إلينا بالمحبةِ ، والكلامِ الحَسَنِ ،
وليس لهم من حديثٍ ، سوى حديث الغناءِ والطرب ،
فنشربُ إلى أن تبتلَ العروقُ ، ويذهب الظمأُ ،
وننتقلُ من وادٍ غير ذى زرع ، إلى وادٍ أخضر بهيجٍ ، ليلُه كنهارِهِ ،
ومن أهل بيتٍ إلى أهلِ بيتٍ ،
فلا ندركُ تكورَ الليلِ على النهار ، وتكورَ النهارِ على الليل ،
وإنَّما هىَ حركةٌ موصولةٌ ، وحياةٌ دائمةٌ ، لا تكادُ تبدأُ ولا تنتهى ،
وما بينَ الموتِ والحياةِ تحولاتٌ أخرى ، وأزمنةٌ ضوئيةٌ ، لا تدركُها الأبصارُ ، ونحنُ بها فرحونَ ،
هكذا تكونُ المحبةُ ،
وهكذا يكونُ رِبَاطُ الوصلِ ،
والعِنَاقِ ،
بيننا : تتوافدُ الذِّكريات على شَجَرِ الليلِ ، فى وضحِ النَّهارِ ،
وعلى مرأى ومسمع ، من الليلِ والنهارِ ، يدورُ حديثٌ بيننا ،
فلا ينقطعُ الا بغفوةٍ ،
ولا يبدأُ إلا بميعادٍ ،
هو الحلمُ ،
بيننا : الحركةُ والسّكونُ ، وما بينَ الحركةِ والسّكونِ ، علاماتٌ ،
لأ نجمٍ كثيرةٍ ،
ضالّةٍ ،
فى المجراتِ تُفتِّشُ عنا ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلا هِيَ تهتدى إلينا ،
ولا نحنُ نقولُ لها :
اهبطى بسلامْ ،
بيننا : من أولِ الخلقِ إلى آخرِ الخلقِ ، رباطٌ من الذَّرِّ ،
والكلماتِ المكنونةِ المنكشفةِ ،
ما لو أطَّلعتِ عليه ،
وخطرَ على قلبِ بشرٍ ، لَوَلَّى مدْبِرَاً ، وقالَ لِي :
هذا فراقُ بينى وبينك ، إلى أىِّ أجلٍ تراهُ ، وأىِّ زَمَنٍ أراه ،
حتى تقومَ السّاعةُ ،
فأجلسُ منها مجلسَ أُنسٍ وطربٍ ، وغناءٍ ورقصٍ ، ولن أقومَ من مَقَامِىَ هذا ،
إلى أن تأذنَ لِي ،
أو أمضى إلى حيثُ تَشَاءُ السّيدةُ ،
ويأخذُ الزمنُ أبعادَهُ ، ومُسَمَّياتِهِ ، فأحملُ فَرَاغِى على ظهرى ، وأُلقى بِمَتَاعى فى اليمّ ،
فلا أمكثُ فى زمانٍ ، ولا أفتِّشُ لِي عن مكانٍ .

بيننا : من سورةِ يوسف ، وأهل سبأٍ ،
والأعرافِ ،
ما لا يقدرُ على تأويلهِ الفلاسفةُ ، وعلماءُ الكلامِ ،
ولا يقتربُ منه الصوفيونَ ،
وأصحابُ الكشفِ والمقاماتِ ،
إلا بمقدارٍ ،
لها أحوالُ النعمةِ ،
ولهُ مدارجُ العذابِ ، يَتَقَلَّبُ فيها كيف يشاءُ ،
فبأىِّ متاهةٍ هوَ ،
وفى أىِّ غَيَابَةٍ هِيَ ؟

بيننا : يتخلى الليلُ عن عاداتهِ ، وحاجياتهِ ،
ويواصلُ السفرَ والسهَر ، إلى ان يَحُلَّ فى جَانبٍ آمنٍ من جوانبِ السمواتِ ،
والأرضِ ،
ولا يبحثُ عن قيامةٍ أخيرةٍ ،
ويقولُ : بَخٍ .... ، بَخٍ ... ،
لا رغبةَ لى ، فى لُعْبةٍ جديدةٍ قديمةٍ ، اسمُها الموتُ والحياة ،
أنا ثَمِلٌ وسكرانُ هكذا ، ياهذا

بيننا : من زليخةَ ،

وشجرةِ الدُّرِّ ،
وبلقيسَ ،
وامرأةِ لوطٍ ،
ما يخرجُ بنا عن حدود الكلامِ إلى متاهةِ الرؤ يا ،
خَلَعَ السّيدُ أعضاءَه عضواً ، عضواً ، وتَقَلَّبَ على فِراشِهِ ،
فوقَ شراشِفِ المحبةِ ، وعناقيدِ الرغبةِ المحتدمةِ ، وانْخَرَطَ فى بكاءٍ حامضٍ ،
وانخرطتِ السّيدةُ فى لَهْوٍ ، ولَعِبٍ ،
وزينةٍ
إلى أن انتبهَ السّيدُ إلى الوقتِ ،
عنــدئذٍ ،
اندهشتِ السّيدةُ من كلامِ السيدِ ،
ومَضَتْ

القاهرة : محمد آدم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جمـــال الغيطـــانى

قصـــة دمعـــــــات

إذن . . سافَرتْ !

استوثقت الأمر عندما فتح الباب ، وأطل وجه فتاة سمراء . ترتدى المعطف الأبيض . تحمل صينية فوقها أكواب الشاى والماء . وفناجين القهوة . سألتنى . .

ـ تأمرَ بشىء ؟

ـ أنت معنا ؟

ـ نعم . .

أومأتُ شاكرا . استعدت اللحظات الأخيرة التى رأيتها فيها . ترى . . أين هى الآن ؟ . وإلى أى المصائر تسعى ؟ .

بعد وصول زميلتى ، سألت . .

ـ مديحة سافرت ؟

ـ بعد بدء أجازتك بيوم . .

ـ اعتدنا عليها . .

ـ ١ ـ قالت : هذا صحيح كانت بنتا طيبة ، مهذبة ، مبتسمة ، بشوشة الوجه ، كانت منّا . عندها قبول حسن . .

سكتت لحظات ثم قالت :

ـ لكن العاملة الجديدة مهذبة أيضا . .

أومأت موافقا ، قلت . .

ـ نصحتها ألاّ تسافر . .

ـ الدنيا صعبة ، وبختها وحش . .

تراجعت إلى صمتى ، فى هذا اليوم أدركنى قلق خفى ، مستتر ، استعصى علىّ تقصى بداياته ، محوره وقوع خلل ، يسير ، ضئيل ، لا يمكن للبصيرة أن تلحظه ، يستعصى على الرصد .

عند الظهر أدركت دَهِشاً أنه سفرها . بغيابها ، إلى هذا الحد اعتدت وجودها بيننا؟ . عجيب . . لم أصافحها مرة واحدة . لم أضع يدى فى يدها . جرى الحوار وثمة مسافة مرئية وخفية تفصلنا ، دائما . . عبارات سريعة . موجزة ، خاطفة ، وفى الأغلب الأعم ، بمبادرة منها وإقبال . .

أستعيد طرقها الباب ، دخولها المتمهل ، المبتسم ، تدركنى وحشة أتساءل ، أين هى الآن ؟ لا أذكر متى رأيتها أول مرة ، متى التحقت بالبوفيه الخاص ؟ من سبع ، من ثمانى سنوات ؟

لم تكن موجودة سنة اغتيال السادات ، هذا مؤكد . لكنها كانت بيننا عندما انتقلنا من المقر القديم . إلى المبنى الجديد المواجه . . منذ خمس سنوات لا غير .

جاورت فى المبنى الأول أربعة آخرين ، حاجز خشبى حال بيننا وبين بقية الصالة المستطيلة ، جدرانها تغطيها الأرفف الخشبية ، تتخللها نافذتان مطلتان على الشارع الجانبى .

لم يستغرق وقوفها إلا ثوان معدودات ، كانت حانية ، لطيفة الطلعة مبتسمة ، وجههاالذى أداه عند انصرافنا ، أشهده بنفس الملامح التى طالعنى بها فى الصباح الباكر . فكأنها لم تبذل المجهود ، ولم تتعب اليوم كله ، ولم تستكن .

عرفت أننى أفضل شرب الشاى الثقيل بعد وصولى

مباشرة ، وفى منتصف يوم عمل ، وقبل انصرافى بنصف ساعة ، عدا ذلك تقترب على مهل ، تسأل ضاحكة العينين :

ـ أجيب شاى ؟

أفارق سطور الورق ، ربما أومىء موافقا ، ربما أطلب عصير الليمون . منذ أربعة أعوام بدأت تنتبى حالات الدوار تلك ، بدء غوصى فى قرار سحيق ، فى أيام إعيائى الأولى ، وبدء نصبى ، كانت تستفسر جزعة :

ـ مالك ؟ . . لونك مخطوف ! .

عندما واجهتها بعينىّ المجهدتين ، وداخليالمنهوك . قالت جزعة . .

سأرجع حالا . .

عادت بعد لحظات تحمل الصينية المستديرة ، عليها كوب واحد فقط ، مستطيل . مملوء بالليمون المركز ، والسكر الغزير . جرعته مرة واحدة . كأنى ألوذ به ، درءا لهذا الدوار البغيض ، وقفت ترقبنى راضية . قالت إننى أحتاج إلى مشروب حلو ، ثم قالت إنها ستعدّ بيديها كوبا مثل هذا عندما يدركنى التعب . فيما تلى من أيام توقفت أمامى مرات :

ـ لا . . أنت فى حاجة إلى ليمون . .

لم أردّها أبدا . أحيانا أخجل من اهتمامها الآتى من أعماقها البعيدة ، من زمن كانت تسعى فيه أمى قبل غيابها الأبدى ، بعد اكتمال المبنى الجديد ، انتقلنا إليه ، خصصوا لى غرفة صغيرة . تفيض بالضوء ، نافذتها واسعة . أواجه الخلاء الممتدّ . وأرى تغير السماء ، وتوالى الظلال فى ساعات النهار المختلفة ، فأدرك وأعى دائما تسرب الوقت . إذ يرهق الكدر عينى أسعى بنظراتى إلى الأفق الممتد . بيوت المنطقة عتيقة ، بالية . وفدت من القرن الماضى ، طابقان أو ثلاثة على الأكثر . بناء مؤسستنا يرتفع ثلاثة عشر طابقا .

بقيت مديحة فى المبنى القديم . لم يكتمل بعد المحل المخصص للبوفيه وحتى تلبى طلبات زملائى قام أحد السعاة بإحضار موقد كهربائى يعد به الشاى سرا . فهذا غير مسموح به طبقا لتعليمات إدارة الأمن .

لا أذكر السبب الذى سعيت من أجله إلى المبنى القديم ، لمحتها ، جاءت متهللة ، وقفت ويداها فى الجيبين الأماميين اللذين أضافتهما إلى تنوّرتها . الأول للنقود الورقية ، والثانى للمعدنية .

قالت إنها فى وحشة . اعتادت علينا ،الشغل هنا خفيف ، تود الانتقال لكن المتعهد يرفض ، لكنها ستحاول .

قلت إننى أتمنى أن أراها هناك قريبا . .

مالت إلى الأمام ، سألتنى عن الدوار ، عن تعبى الذى يحل عند الظهيرة ، قلت إننى أفضل . و أن هذا التعب يحل فى الأيام التى يقلّ فيها نومى . قالت :

ـ لا ترهق نفسك . .

ـ الشغل كثير . .

بعد أيام قليلة فوجئت بها تقف أمام المصعد ، قالت إنها ستعمل معنا من الغد ، قالت إنها فرحة جدا ، خفضت صوتها ، قالت إن بعض الزميلات طلبن من المتعهد انتقالها هناك ، قالت إن أولاد الحلال كثيرون .

قلت : طبعا . .

عادت .

كانت تدخل إلى الغرفة بعد وصولى بدقائق ، تحمل صينية الشاى ، الكوب كرستالى الشفافية ، السكر فى طبق صغير ، كوب الماء . تضع هذا بعناية ، بتأن ، وإذ تفرغ ، تقف لحيظات تسألنى خلالها عن صحتى ، ثم تستدير مفارقة . غير أن حضورها الباسم يبقى فى الغرفة .

كانت تصل فى الصباح ، ضاحكة مستبشرة ، مع أن رحلتها من منطقة الزاوية الحمراء إلى مقر المؤسسة طويلة ، شاقة ، تبدل المواصلات مرتين . عند وصولها ترتدى المعطف الأبيض وتجول مرحة . عند قدوم ضيف لم.أكن فى حاجة إلى الخروج بحثا عنها . كأن حاسة خفية عندها تنبئها . عرفت المترددين علىّ ، الذين يجيئون على فترات متقاربة . أو أولئك الذين يندر ظهورهم إلا لحاجة ماسة ، بل عرفت ما يفضله بعضهم . مرة بعد خروجها ، قال صاحب لى يدير مكتبا تجاريا .

ـ البنت لطيفة جدا . .

لم يغب عنّى ما احتواه صوته من محاولة إيحاء ، قلت إنها بنت مكافحة ، تساءل ساخرا :

ـ وهل يمنع ؟ أليست امرأة ، لها جسد وروح ؟

لم أتمادى فى الحوار ، عندما استعدته بعد ذلك ضقت به ، لمت نفسى لأن ردى لم يكن حاسما ، هل بدر منها ، أو طالع فى هيئتها ما يوحى بخصوصية ما ؟ . حنوها البادى لم أغفله ، لكننى لم أسع بخيالى إليها كأنثى .

ملامحها جميلة . هادئة ، قمحية ، شفتاها غزيرتان ، فى عينيها مسّ حزن ، وبصيص فرعونى قديم ، حضورها يستدعى إلى وعيى لوحة قديمة لم أطلع عليها ، أيضا ما تخلف فى الفراغ من انتظار أمومى طويل مشوب بحنين . وقوف أمام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جدار من مادة دقيقة بيضاء . لا تعرف ، إذا انهار أو تصدع تبدأ غيبة طويلة .

لماذا تلك الصور بالذات ؟

لا أدرى ، لكننى لم استدعها إلى خيالاتى كأنثى مرغوبة ، حتى عند جموح شهوانيتى . مع أنها خصتنى بما لم تفض به إلى غيرى ، تأكد لى هذا بعد سفرها ، لم تجلس إلا هذه المرة الأخيرة ، لكنها اعتادت الحديث إلىّ واقفة ، توجز قدر استطاعتها ، بينما أبدى التشاغل . لا أضع القلم فوق المكتب ، إنما أظل ممسكا به . شاخصا إليها ، مومئا ، متطلعا إلى الأوراق المتناثرة لزمت الحذر . . ربما أساءوا طول مكوثها داخل غرفة مكتبى ، أكره أقوال الخفاء ، الهمسات التى يمكن لأن تبدأ هنا . وهناك ، ربما قدم ذلك الحاجز بسبب حذرى ، ثم أصبح جزءا من الصلة . . ربما .

فى ذلك اليوم ، بدت حزينة ، كابية . .

ــ عم غازى . .

ــ ماله ؟

أطرقت ، غازى هو العامل الذى يقوم بإعداد الشاى والمشروبات المختلفة عمل سنوات طويلة فى المقاهى ، تقلب فى أكبرها وأصغرها حتى استقر به الحال هنا ، تجاوز الخمسين ، رقبته نحيلة ، طويلة ، عيناه جاحظتان ، متزوج ، أب لأربعة . هام بمديحة حبا ، عرض الزواج ، اعتذرت ، ضيق عليها ، أحاط بها ، صار يثير المشاكل كلما رآها تتحدث إلى أحد السعاة ، خاصة محمود النوبى ، إن عواطفه تجاهها لم تعد سرا ، إنما أصبح أمرها ذائعا ، منتشرا ، بل موضعا لسخرية البعض ، خاصة أنه زوج وأب ، لكن ما يُطمع الناس فيه خِفته ورهجه ، وقلة صبره . .

سألتها فجأة :

ــ ولماذا لم تتزوجى ؟

ــ غازى ؟

ــ لا . . أنا أسأل عموما . .

قالت بصوت خفيض . إن شابا يسكن بالقرب منهما ، إذ أنها تعيش مع شقيقها ، طلبها . شاب طيب . يريد أن يعيش ، ابن ناس فقراء لكن سمعتهم حسنة . أخوها رحب به ، صارا صديقين ، لكن الأمر لم يتم ، لماذا ؟

أحواله متعسرة ، لم يدخر المهر ، كان عندها كردان دهب عرضت عليه أن يبيعه ويتم بثمنه ما ينقص ، لكنه أبى ، كل شىء يرتفع سعره بصورة كبيرة . حتى جاء يوم اضطر أخوها أن يطلب منه الكف عن الدخول والخروج . الناس تلاحظ ، وتتكلم ، والوقت يمر وما من خطوة حقيقية تمت . كان ذلك مؤلما جدا ، لكن ما من مفر .

ــ من يومها . لم يتقدم إلىّ أحد . .

أبديت أسفى . بقيت واقفة . تود لو أطالت المدة ، لكن . . ماذا سيقول الآخرون عن الغيبة .

متى تحدثت أول مرة عن سفرها ، كان مجرد فكرة . إنه يوم سبت ، غابت يومى الأربعاء والخميس وجاءت صباح السبت مبكرة ، مبتسمة ، راغبة فى الحديث :

ــ فطرت ؟

ــ طبعا . .

ــ لا . . عندى لك حاجة حلوة . .

سألتها : أين اختفت ؟ قالت إنها زارت البلدة ، تبعد ساعتين عن القاهرة . أمها هناك ، قالت إنها أحضرت فطيرا بالسمن البلدى ، وجبنا قديما ، بالتأكيد سيعجبه . حاشت نصيبه ، ربع فطيرة . .

أكلت ، أثنيت على مذاق الفطير الذى أصبح من علامات الماضى ، أكدت لى أنها لو سافرت مرة أخرى ستحضر لى فطيرتين كاملتين . أشارت بإصبعها فى الفراغ . ثم قالت إنها ربما ترحل . .

لم أنتبه أول لحظة ، لكننى أدركت أنها تعنى سفرا مختلفا .

ــ إلى أين ؟

قالت إن شقيقها ينتظر عقد عمل من الأردن ، قابل صاحب ورشة هناك ، عرض عليه . ولما أخبره أنه يعيش مع شقيقته ، وأنه لا يقدر على مفارقتها . فلا أحد لها غيره . قال إن الأمر بسيط ، سوف يدبر لها عملا فى المدينة كمشرفة حضانة ، مادامت تعرف القراءة والكتابة ، وذات مظهر لا بأس به . .

تطلعت إليها ، لمحت نظراتها مستفسرة ، حائرة ، كأنها تسألنى رأيى تسعى إلى مشورة .

قلت إننى أكره السفر ، إلا أذا حتمت الضرورة . على شقيقها أن يدرس الظرف جيدا . الغربة صعبة ، سألتها عما ستتقاضاه ؟ ، قالت : مائتى دولار . استفسرت عن السكن ، قالت : هم سيدبرونه . قالت إن الأسعار هناك مرتفعة ، عدت أسأل : كم تتقاضين هنا ؟ . قالت إن متعهد البوفيه يدفع لها ستين جنيها مرتباً ثابتاً ، ويأتيهم مثلها تقريبا من البقشيش مرت أسابيع ، لم تذكر شيئا عن السفر ، أستعيد ملامحها خلال تلك الفترة . فأراها ناطقة بالود ، بالحيوية ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والرغبة فى القرب ، شمولية البسمة ما عدا يوماً لا أذكر موقعه الآن بين أيام الأسبوع ، رصدت ضيقا فى عينيها ، سألتها عما بها ؟ . كانت قريبة جدا ، وددت لو تراجعت خطوة حتى إذا دخل أحدهم فجأة لا يظن بى الظنون . تراجعت مقدار شبرين بمقعدى، رغبت فى دعوتها إلى الجلوس . لكن . . لم يحدث هذا من قبل ، غير معتاد هنا ،

قالت إن الناس قساة ، قساة جدا .

استفسرت مرة أخرى ، قالت إن أحد رجال الأمن يضايقها منذ فترة ، وأنه كتب تقريرا يقول فيه إن عاملة البوفيه تبقى بعد انصراف العاملين ، وإنها تخلو بمحمود الأسمر فى غرفة المدير . .

ــ تصور يا أستاذ . . تصور ؟

ــ وأين وصل التقرير ؟

التفتت إلىّ منفعلة ، بادية الحدة ، قالت إنها منذ خمسة أعوام هنا لم يبد منها ما يشين . كل شخص يعرفها ، كما أنها تعرف كل إنسان هنا ، تفهم النظرات المسددةإليها ، والذين يتظاهرون بشىء ويضمرون خلافه ، قالت :

ــ فيه ناس مثلك ، لكن فيه أشرار . .

أشرار قوى ياأستاذ . .

أمسكت حافة المكتب ، لاحظت تحرك وجنتيها إذ تعض على أسنانها وأضراسها قدمت إليها منديلا ورقيا ، أومأت برأسى ، طلبت منها أن تخبرنى بتطور الأمور خاصة إذا حولوها إلى التحقيق . ليس سهلا تلويث الناس . . ، انجلى كدرها فجأة . قالت :

ــ أنا آسفة . . حملتك ما لا ذنب لك فيه . .

قلت إن ما أفضت به لم يزعجنى ، إنما يطلعنى على بعض مما يجرى فى هذه المؤسسة . وهنا قالت :

ــ أنت الوحيد البعيد عنهم . . أنت فى حالك . .

فى اليوم التالى قابلت الساعى محمود الأسمر صدفة ، بادلته التحية ، مضيت ، لا أدرى . . ربما . استعدت لحظات رأيتها تتحدث إليهكان هذا فى منتصف نهار بعيد ، هل بدا شىء ما ؟ أثمة خصوصية ، فى الوقفة، فى النظرات ؟ لم أحسم !

أيام قلائل مضت ، نهار يقترب من نهايته ، عندما طرقت الباب ، دخلت تحمل صينية فوقها كوبان فارغان ، وجهها كدر أكثر من المرتين السابقتين ، عندما جاءت تشكو عم غازى ، ورجل الأمن ، وضعت الصينية فوق المنضدة الصغيرة :

ــ ممكن أقعد ؟

ــ طبعا . . تفضلى . .

أشرت بيدى ، التفتت إلىّ :

ــ تصور ياأستاذ. إننى لو أردت أن أستريح فلا أجد مقعدا أجلس إليه . . طوال النهار أدور كالنحلة .

بدا صوتها مغموسا بالأسى ،مترقرقا.قالت إنها أحيانا تود لو تخلو بنفسها لحظات . أوقات تضيق بالآخرين ، من ذاتها هى . تطلعت إليها صامتا لا أدرى ما يجب أن أقوله ، أو أفعله . قالت :

ــ حزينة . . حزينة جدا . .

قبل استفسارى ، استمرت ، قالت ستسافر . .

ــ إلى أين ؟

ــ إلى الأردن . .

ــ ياه . . هذا العرض القديم ! .

قلبها مقبوض ، ستسافر مع شقيقها ، لكن إلى بلد لا تعرف فيه أحداً ، بلد غريب ، لا تدرى بمن ستلتقى . أو من ستجاور ؟ ، قالت إنها اعتادت الناس هنا ، تعتبر نفسها واحدة منهم ، وأنها فى ونسة ، لكن هناك ستكون فى وحشة ، لا تعرف متى سترجع . .

كانت ترثى ولاتودع ، نقبت عن كلمات مؤازرة . للتهوين من شدة الأمر ، لكن لهجتها فتقت عندى جروحا ، وحركت أسأى . وعيت فى هذه اللحظة أنها موشكة على اغتراب، لكننى مغترب فعلا ، وأنها ظلت حائمة ، دائرة حولنا ، على مرأى منا ولم ندرك ، وها هى ذى تحط جالسة فوق مقعد ، عندى هنا لأول مرة ، ورحيلها على وشك إنما لتبكى .

فى لحيظات تحول بكاؤ ها إلى نشيج أرجف جسدها . واستدرج دمعاتى إلى مشارف مآقىّ ، فدنوت داخلى من شفا نواح طالما كتمته ، خاصة عندما رددت فى كلمات متقطعة ، مجروحة :

ــ يا عالم ! . متى يلتقى الحى بالحى ؟

القاهرة : جمال الغيطانى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد الحكيم قاسم

قصة

ليلة رأس السنة

كل شيء بدا رائعا . الدنيا غسقت ، وبدأت المصابيح تتألق فى المساء البديع . وراء المبانى العالية تلتقى السماء بالبحر فى الأفق القريب ، تختلط حمرته فتلون الجهة الغربية بالقرمز والأزرق الخفيف . من هنا ، من مكانهما فى شرفة شقتهما ، تحجب عنهما العمائر جمال البحر ساعة الغروب ، لكنهما يحلمان .

الخمر مُرّة وحارقة ، يعبّ عبد العزيز منها أكوابا مترعة ، ويزرى على محمد تردده فى الشرب وتأمله ، ويتناول كل آن شيئا من المزّة كى يحسّن ريق الخمر فى فمه : يزعق فيه :

ـ إشرب ياسيدى ، اشرب ، ودَعْ للخمر قيادك !

ضحك محمد ، وأغرق فى الضحك حتى بانت أسنانه ، أصولها يجتمع حولها الجير وبقايا الأكل ملوثة بالدماء . محمد يعالج داخله الخوف من هجمة المرض ، إنه لم يجرب الخمر قبلا كثيرا ، هل يُرزأ بنوبة من الإسهال ؟ ويزور المستشفى ؟ ويجىء عبد العزيز لزيارته عاصفا زاعقا ، ثم ينصرف ويتركنى لآلامى ؟ ضحك وردَّ علىّ عبد العزيز .

ـ أسلمها قيادى ياسيدى ، عساها تحسن قيادتنا !

ورنّت عبارة عبد العزيز ورد محمد حاملا تراث فحول الشرب ؛ أكانت الخمر دائما مُرة وشربها عناءً ؟ يخفى تضرره بالمذاق والرائحة ، يتناول لقمة من المزّة ويواصل عبّ الماء الردىء .

بدأ الخدر يمشى قليلا فى جسمه ، والناس هنا وهناك قبالته بدأت تتلّون وجوهم والمرح يبرق فى عيونهم ، والابتسام بشفاههم . عبد العزيز بدأ يضحك لهم ، ضحكاً آخر غير الذى اجتمع هو ومحمد عليه . . . ضحك آخر نابت من كل جسمه ، لا يمكن مقاومته ، وهو ممرور فى جوهره ، يوشك أن يتحول إلى شهقات دامعة . قال محمد :

ـ اشرب يابنى ! . . . واسكر !

ضحكا . ملأ عبد العزيز الكأسين ، رفع كأسه ودلقه فى فمه وبلعه ، وبعدُ أحكم إغلاق فمه وإغماض عينيه ، وهو يهز رأسه بعنف مستبشعا الشرب . فتح العينين المخضلتين بالدموع ، وفتح فمه وشهق شهقة قوية . فاتت تجربة الكأس مرة أخرى . نظر إلى محمد ، يعانى بعنف من الشرب . أغرقا فى الضحك معا ، ضحكات لها ذبول .

القارورة من الزجاج الأخضر ، مخبأة فى سور الشرفة حتى لا يلمحها أحد من الجيران .

احتملها عبد العزيز فى يده وعرضها للنور ليرى مقدار مااستنفذوه . بقى بها ثلثاها . أقرّها فى مكانها وقال لمحمد :

ـ هذه القارورة أهدانا الكوّاء إياها ؟

ضحك محمد وقال :

ـ إنه رجل صاحب مزاج ، فى القوارير الفارغة . . !

وضحكا . وحضرت عبد العزيز سحنة الكواء . وجهه فى حجم منقار دجاجة ، وشعره كثيف هائش . . يغنى إذ ينحنى على عمله ، وأصابعه تشبه مخالب الدجاجة ، تكشط الرسخ

من على الملابس المكوية . قال عبد العزيز :

ـ الله يلعنه !

وضحكا .

عاد عبد العزيز عصر هذا اليوم من الكلية ممتلئاً حماسا . دخل على محمد فى غرفته . تطلع محمد إلى عبد العزيز ، وهو لا يبدو عليه قصد تغيير ثيابه ، أيخرج ثانية ؟ وضع الكتاب بجواره ، كان يقرأ مستلقيا ، وأمه جالسة على فرشة قدام السرير . أنصت مبتسما إلى عبد العزيز الذى قال :

ـ اليوم رأس السنة . . الحق بى فى غرفتى !

خرج وبقى محمد فى رقاده ، شقى طول النهار بـ « مصادر الإلتزام » . وشقى طول لنهار بثرثرة أمه . لو كانت ضمّته إلى صدرها لأنصت لخرخشة الأنفاس فى رئتيها . واستقر ، ونام .

قام ، استوى جالساً ، دلىّ ساقيه يبحث لقدميه عن شبشبه . يفكر عَلامَ استقر عزم عبد العزيز ؟ ماذا نحن فاعلون فى مسائنا هذا ؟ خرج من غرفته نحيلا منحنيا فى جلبابه الكستور المخطط . سيعبر الردهة إلى غرفة عبد العزيز ، صارفا نظره عن ثرثرة أمه التى بلا نهاية . أمّا كتاب « المدنى » فهو همّ مقعد مقيم . يدوس برفق على بلاط الصالة ، ويريد أن يعرف ماذا انتوى عبد العزيز .

وعبد العزيز واقف فى شرفة غرفته يتأمل النهار فى عصرية شتوية . الجو مشمس رائق دفىء . فرح بالدفء والصحو . النهار لا يكفّ طول النهار عن الهمس لعبد العزيز بنوايا الاحتفال . الناس متغيرون بالحبور ، يسرعون متلهفين ، يضحكون ويزعقون . كل ذلك بشكل مفاجىء . يراقبهم عبد العزيز مندهشا ، وتملك قلبه نبضات الفرح . قبالته بيت قديم له شرفة كبيرة ، حافلة بأحبال الغسيل ، لكنها نظيفة مغسولة البلاط . وفى هذا البيت أسرة مصرية ، لها بنت عذبة وسيمة العيون . البيت المجاور ـ الذى بنى حديثاً ـ وله شرفة صغير أنيقة ـ فيه تسكن أسرة سويسرية ، لها بنت شقراء رائعة . طاقة الحب لدى عبد العزيز مقسمة بين هاتين الغادتين. أيسعُ السرّ الكامن فى تلك العصرية من ذلك النهار أن يبعثهما ؟ أن يخرجهما إلى الشرف ؟ أن يطلعا له ليتفرجا على فرحته ويباركا سروره بأيديهما ؟ ةخرجتا ! أتستجيبان لروعة النهار ؟ أم لإلحاح دعوة عبد العزيز ؟ المصرية خرجت لتنشر جوربها الأبيض الصغير ومنديلها المورد ، والسويسرية تدلّى سلّتها من حبلها الطويل للبواب الجالس على أريكة أمام باب بيتهم . تكلمه كلمات عربية مهشّمة ـ ينقّل بينهما عبد العزيز بصره ، يخف وزنه حتى استحال زنبوراً أحمر ، يطير وينطلق ، ثم ينقض على عسلهما ، ثم نكص ، ثم حلّق . ما الرّن صوت جناحيه إنما هو أزيز قلبه ،

وهما عشيقتاه المستحيلتان ! إنما المتاح له أجساد المومسات المرهقة المبقعة ، سعدية ولطيفة وفاطمة الذّكر ! فليحسُنْ به أن ينسى ذلك ، وأن يطير وأن يثزّ حول طبقى عسلهما .

المصرية . صغيرة القدّ ، مرسومة ، هنا الإمتلاء وبعده النحافة . تكوّر صدرها يفتق التطريز . لا يطلّ ، لكنه يوشك . وحلية الذهب ترتاح هناك آمنة قريرة . أتنشر غسيلها ؟ أم تمارس طقوس رقصة عميقة الأسرار يدركها الدرويش مثل عبد العزيز ؟ اليدان تتحركان متناسقتين بديعتين ، والأصابع تتنقل فتخلق نغماً . فتبتسم ، يبدو فى كبرياء جسدها ولدونته وتأوّده ، ويبدو فى قرمز شفتيها ووجنتيها ، وسواد شعرها المعقوص لأعلى ، والسواد اللامع فى عينيها الثقيلتى الأداب ، تنظر ولا رأت كأنها تحلم ، نظرت لعبد العزيز وللبنت السويسرية ، ثم استدارت ثم دخلت مُخلية مسرح الشرفة ، صار موحشا ، أتأمله ، وهى تتأمله من خصاص الباب الذى أغلقته وراءها . البنت السويسرية منحنية على سور الشرفة متّكئة بمرفقيها ، وكفاها وأصابعها متوترة فى قبضها على حبل السلة ، وساعداها سارحان رائعان ، فيهما دفء الجرانيت ولونه الوردىّ . وشعرها الذهب ينساب مقصوصا حول وجهها ، وشفتاها مزمومتان ، وفيروز عينيها استقر حيث هوت السلة . ثم تقوم ، تجذب السلة وتطوى الحبل ، ممشوقة ، وحرير الثوب يبدى بيان جسمها لا التواء فيه . ركنت السلة وأخذت ما فيها ، ونظرت حواليها جاسرة . وحينما صادفت عبد العزيز ارتطمت نظراتها بحائط من الأسمنت المسلح ، يخفيه . دخلت دونما التفات .

أهذا الفرق بين بنتين ؟ أم الفرق بين جنسين ؟ أتراه يحب أيهما ؟ إنه مفتون بالمصرية ومسحور بتشابك الخوط المنحنية فى كيانها ! وهو أيضا معجب بروعة الاستقامة وحدّتها الوسيمة ، من هنا وإلى الأبد فى البنت السويسرية ! أم هو مكتوب عليه واحدة من المومسات ! فتهبط به الأيام عن مستوى الشّرف ، عن مستوى الحلم ، فيظل يهوى ويهوى ؟

جراءته يخفيها فى الليل ، فى كتبه . يقرأ عن النظريات الكبرى ويؤمن ، وينظّر لحياته ، ثم يتلو ذلك على محمد وعلى غيره ممن لا يفهمون ، وللأشعار التى كتبها فى ساعة يأسه ، ينصتون ، ثم يبقون بعد انتهاء النصّ ذابلى العيون متدلى الشفاه . يقلب وجهه فى العصرية ، يمرّح خدّيه فى دفء الشمس الصفراء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دخل عليه محمد قال له :

ـ أنت وشر فتاك ياحبيبى !

ضحكا . وواصل محمد :

ـ أنت لا تعرف آخر أخبار وسيلة ، وأبيها البواب ، لا يأتيني من المنور إلا أخبارهما !

قاطعه عبد العزيز :

ـ اليوم رأس السنة . . . سنحتفل . . . سنشرب حتى يظهر الخيط الأسود من الخيط الأبيض ! أين قارورة الكواء ؟ سننزل نملأها !

قال له محمد أغير ثيابى أم أنزل هكذا .

نظر عبد العزيز إلى محمد ، تأمله شاردا . ثم قال له :

ـ تعال هكذا ! . . لا بأس .

نزلا الشارع . محمد فى جلبابه وشبشبه ومشيته المستخزية المترددة والخجل على وجهه والذبول فى عينيه ، وفمه مفتوح فيما يشبه الابتسام . وعبد العزيز متوهج ، يفرط فى الثرثرة ، لكن جزءا صامتا من نفسه ، لا يجرؤ على الالتفات وراء ليضبط الابتسام الساخر من صاحبه ، وعلى أفواه الناس فى الشرف . أخذ ساعد محمد فى ساعده ، وقارورة الكواء فى يده الأخرى . .

فى الشارع الرئيسى فاجأتهما نسمة باردة تأذى محمد منها ، والزحام وانطلاق العربات واللهوجة الغالبة على كل مزاج . متى نرجع بملء القارورة من قاتل الحشرات هذا ؟ وعبد العزيز استشاره الزياط فى الشارع وازدحام الزبائن وإقبالهم على الدكاكين ، والنوافذ فى العمائر العالية ، تسترها ستائر المخرّمات ، وتفضح ماوراءها الأضواء الباهرة ، والموسيقى ، وسعى السيدات يقضين حوائج الاحتفال . تلك نوافذ قلّت فى العام المنصرم ، الخواجات رحلوا ، وجاء المصريون سكنوا مكانهم . بقيت إذن نوافذهم صامته ، أو فيها رجل أو إمرأة فى ثياب النوم .

يومها سار عبد العزيز فى طابور الحرس الوطنى . آلافٌ سلاحهم البنادق الروس ، والمدافع السريعة الطلقات . عرض رائع ، والخطوات تخفق مزلزلة ، القلوب تخفق مروعة . وكان قد جاءهم ضابط كبير فى معسكرهم فى كلية الهندسة . وخطب هامسا ، لم يسمع عبد العزيز كلمة واحدة من خطابه حلّ الصمت كاملا ، سمعه يقول : « الله معنا » وحسب أوامره سرنا فى الشوارع لنقول للناس : « ها نحن أولاء » وكان جنون الفرح فى وجوه المصريين ، وغلقت نوافذ الخواجات .

لكن جزءاً صامتا من نفس عبد العزيز ، لننس ذلك ! اليوم يوم احتفالنا ! وقف قدام بائع الخمر . والدكان نظيف خال من أى شىء ، إلا من برميل خشبى هائل مستلق على جنبه يستغرق معظم المساحة ، وفيه صنبور صغير تحته وعاء يتلقى فيه القطرات . وعلى كرسىّ يجلس صاحب المحل اليونانى خلف قمطر . حليق مصفف الشعر يلبس حلة كاملة غامقة ورباط رقبة ملائم ، وأمامه راديو يذيع موسيقى راقصة ، وعلى واجهة محله كلام باليونانى كثير ، وكلمة عربية واحدة : « طفية » . وعادا بالقارورة مليئة ، وتركا صاحب المحل يتأهب لإغلاق دكانه والإسراع إلى الاحتفال .

اشتريا « جبنة رومى » وزيتونا مخللا وخبزا . فتح عبد العزيز باب الشقة ودخل غرفته ، حيث يعد الشرفة لجلوسهما . ومحمد دخل على أمه . هتف به من خلال لهاثها وخرخشة أنفاسها .

ـ اتشربان مرة أخرى ؟

ضحك لها محمد وقال :

ـ الليلة رأس السنة ! . . . كل سنة وأنت طيبة !

وتركها ليلحق بعبد العزيز .

وكل شىء استقر . الترابيزه عند ركبيهما ، وعليها المزّة والأكواب ، وتحتها قارورة الطافية . وبعد أن جرعا كأسين أو ثلاثة بدت المصابيح كأنما زاد تألقها فى غبش المساء الذى يقتمّ كل آن . ووراء العمائر العالية الأفق مشحون باللون الرمادى يخيف والبحر تحته ساكن . فى قاع الشارع همْسُ البوابين أمام البيوت . والشرفتان خاليتان إلا من ضوء خلف الخصاص ، وهمْس السويسريين فى احتفالهم وصمت بيت المصريين .

يتحدثان همسا ، وعبد العزيز مشغول بما يحدث عند جيرانه الخواجات .

قال لمحمد :

ـ اشرب ياسيدى !

قال محمد لعبد العزيز :

ـ أنت لم تسألنى عن أخبار وسيلة وأبيها وصاحبهما وضيفهما كل مساء قال عبد العزيز لمحمد : احك !

غرفة محمد لها نافذة مطلة على المنور ، الذى هو مستراح غرفة البواب باب لها يفتح فيه ، وفيه أحبال غسيلهم ، وأغراض المعاش ، وفرشة يفترشونها فى الاماسى . محمد يتأمل « وسيلة » كل آن يطل عليها من خصاص شباك مغلق حتى اعتاد سواد لونها النوبى ، فأصبح يتشهاها فى قميصها

الخفيف ، بعد أن غسلت هدومها السود ونشرتها . وجهها فيه تغلب السمة الأنثوية سمات الرجولة ، لكنها تبتسم عن صفين من الأسنان بيض ، فيهما أنوثة مليئة بالرقة والحنان ، وصدرها يتكور عامرا بالفتوة ، يتشهاها محمد ويعكف على الشباك أوقاتا طويلة .

قال محمد لعبد العزيز :

ــ أنت تعرف الشاب ؟ يأتى كل مساء زائرا ، ويجلسون ثلاثتهم فى المنور ؟

قال عبد العزيز لمحمد :

ــ أنا أعرف . . .

وهو يعرف أن زوج وسيلة مات ، فلحقت بأبيها فى الاسكندرية . لم يعد لها بيت فى النوبة ، ولا أمل فى بيت .

قال محمد لعبد العزيز :

ــ كل مساء يأتى معه ورقة الدخان المعسّل ، ويلقى بها فى حجر وسيلة ، وهذه تعمّر الجوزة وتولعا وتطلق من فمها ومن أنفها زوبعة من الدخان !

قال عبد العزيز :

ــ ياسلام ياسيدى . . .

وتعطى الجوزة لضيفها ، ويعطى هذا الجوزة لأبيها . وتدور الكراسى على الفرشة فى المنور ، والدخان كثيف محلق ، وابتسام وسيلة عن أسنانها البيض ، ونظرات عينيها اللامعتين تحيط ببجه الضيف ، ووجهه الطفل العذب الوسيم ناكس . . . هكذا ! تبادل حنون بين الشابين ، ى جلسة يتحول فيها ثالثهما مغفلاً .

قال محمد لعبد العزيز :

ــ كنت أظن أن الأب جالس فى حراسة كنز ابنته ، لكنه ثار بالأمس لإهمالهما إياه . وخرج عنهما ، بقى بعيدا ساعة . . . ! تصورت الولد سيقفز على البنت ، أو البنت تأخذه فى حضنها ، لكن الأشياء بقيت رائعة . تعمر له الجوزة ، يدخنان فى صمت ، حتى عاد الأب .

صاح عبد العزيز صيحة حرّى :

ــ آه . . آه . . ياقلبى المحزون !!

قضت عليه الخمر ، وأمرضت جسمه ، وألهبت ظمأه للشرب ، والأضواء تتلاعب ، والشرفة صامته ، والأخرى الثانية واشية بزياط وصراخ ! أيستطيع أن يميز صوت صراخها ؟ هل فيه قدرة على أى تميز ؟

قال عبد العزيز لمحمد وقد اتخذت ملامحه سمة جدية .

ــ عن « وسيلة » أقول لك . . . إن الزواج مؤسسة فاشلة . . . إنه الرجل ترك زوجته وعياله فى النوبة . . . . والزّنى . . . كيف يكون با مرأة تخون زوجها المقبور ، وبرجل متزوج وله عيال . . فضيحة !

ثم صمت . أفرغ لها كأسين . جرعاهما ، ثم واصلا شربهما فى كآبة ومرض ، تفكر محمد أن حكاياته تسبب الكدر ، وتفكّر عبد العزيز أن حكايات محمد هى مصيره المرتقب .

إنفتح باب الشرفة فى بيت السويسريين . وخرجت ثلّة من شباب المحتفلين ، وفى مقدمتهم البنت وأثيرها ، يدلقون الخمر من القوارير الفاخرة ، ويرمون بالأطباق الصينية ، تهوى وتتهشم بأصوات مفرقعة ، وينطلق صراخ الفرح من الشبان . البنت السويسرية أحاطت رقبة أثيرها بساعديها وقبلته فى شفتيه ، صفق لها رفقتها من البنات والصبيان ، ثم دخلوا جميعا وأغلقوا باب الشرفة وراءهم .

صدم عبد العزيز . تكلم وهو دائخ :

ــ إنهم يدلقون الخمر الباقى فى القوارير من العام الماضى ، ويكسرون الأطباق القديمة !

كلم محمد نفسه :

ــ ذلك ؟ أم حرقتك القبلة على فم الولد ؟

وعلى وجهه ابتسام غامض ، ووجه عبد العزيز ساقط أسيف . تكلم بطيئا :

ــ إنه ليس أمام وسيلة زواج ولازنى ! أترى ؟ ليس لها إلا أن تبادل حبيبها نظرات مقهورة !

ثم اشتعل وتوهج فجأة ، وتنفس بقوة ، ثم قال :

ــ لننزل الشارع لنر كيف يفعل الناس بعام مضى ويعام مقبل ، وقبل ذلك كأس للطريق !

فى الشارع الرئيس أمم غفيرة ، يسيرون فى شكل مظاهرة . يهتفون بالموت والحياة لمأفونين لا يعرف أحد عنهم شيئا . يتفرقون جماعات شتى ، يضحكون ويكركعون ، ثم يصرخون ، يلمّ شملهم من يتبرع بالهتاف لهم ، ويردون خلفه . وفى الشرف والنوافذ وجوه مصرية مجنونة بالفرح ، يزعقون ويضحكون ويصخبون ، وفى أيديهم الجرادل والحلل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المليئة بالماء ، يدلقونه على رؤوس الناس .

ضحك محمد حتى كاد ينقلب على قفاه ، وهو يقول :

ـ إنهم يدلقون خمر عام انصرم . . !

وفجأة سقطت عليه دفقة ماء أغرقته تماما . رآه عبد العزيز يترنح فى وقوفه ، ويشهق شهقات مكتومة ، حتى أوشك أن يسقط .

القاهرة : عبد الحكيم قاسم

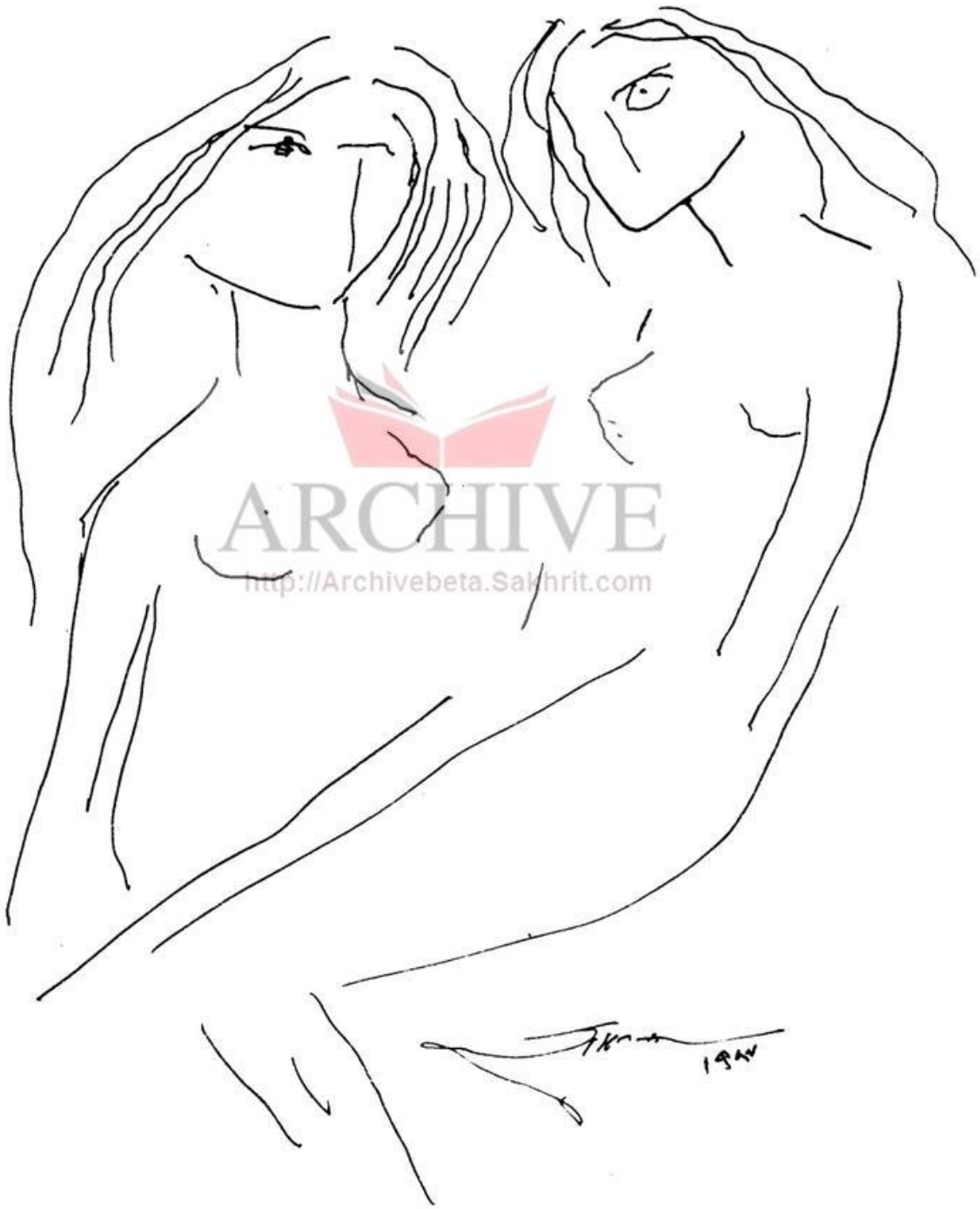

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصـــــة

شـــوك القنـــفـــذ

رمانى بنظرة دموية مدمدما ، لماذا يروق لك تعذيبى ؟

قلت فى مـواربة ، أديت لـك عونـا بإخفـاء فعلتـك عن صديقنا . .

ــ وتطاردنى فى المقابل ؟!

تجاهلت عبارتـه مشيرا إلى « البنـك » الخشبى أقول بنبـرة باردة .

ــ تترك الدرج فارغا ؟!

اشتعلت حمرة عينيه وقال بغضب :

ــ فلوس صـاحب الدكـان هل أتـركها أمـامك لتـأخـذ ما تريد ؟

ألا يكفيك ما أخذت !

هززت كتفى فى صفاقة أقول :

ــ وماذا فى ذلك !

فى اهتياج فتح فمه وأطبقه . . أدار ظهره نحوى ساخطا . . جرّر خلفه رجله المعطوبة التى يواريها جلبابه الطويل . . توقف فى آخر الدكان الواسع ، يرص ألـواح الجريـد المكوم عليهـا أرغفة الخبز ، فى صف مرتفع خلف الباب الآخر المغلق . . وكان وجهه كابيا .

لم ألحـظه عندمـا عاد يقتـرب منى ، وصـوتـه يتحـول إلى الملاينة :

ــ أريد أن أعرف . . ماذا جرى لصداقتنا ؟

لم تخف عنّى نبـرة انكساره . . أدركت محـاولة لكسبى من جديد . . تشبثت بموقفى داخل الإطار الذى اتخذته لنفسى منذ ليلة الواقعة . . قلت فى حدة :

ــ خنت نصحى . . ماذا فعلت مع أخته ؟ .

شوّح بكفه الضامرة :

ــ لم استطع المقاومة . . ضعفت . .

دخل أحدهم يشترى أرغفة ، ثم انصرف . . ركزت نظرتى على النقود التى يضعها فى جيب معطفه الكاكى المنتفخ . . لحظ نظرتى فقال فى تضاؤل :

ــ ما تأخذه أدفعه من أجرى اليومى لصاحب الدكان . . أكذب له كذبة فى كل مرة ليصدق أن الفلوس تنقص لسبب لا أعرفه . . حتى متى سيظل يصدقنى !

أدرت عنه وجهى . .

ــ سيطردنى يوما . .

عندما ظللت صامتا هدر فى اهتياج .

ــ حينما أعطيك بيدى فهذا برضاى . . لكنك . . .

توقف عندما نهضت مغلّفا ملامحى باحتجاج غاضب . .

سارع يقول ملاينا :

ــ لم أجعل فرقا بينى وبينك من يوم أن تصاحبنا . . لكنك الآن تأخذ منى غصباً . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ لا تقُلْ لنصحى . . لا تقل لأخيها . .
فى وثبة برجل واحدة كان ينحنى على يدى :
ـ أبوس يدك . . لا تقل له .

كنا فى الليل . . منذ لحظات كانت ميسرة تنسل من المصراع المفتوح بين مصاريع الدكان الثلاثة خارجة . . انفلتت فى سرعة ، دهشت لها من عمياء ، إلى مدخل بيتهم الملاصق . . فى البعيد لمحتها فى ثوب أصفر وأنا أقترب من الدكان . . والشارع ساكن خال . .

اتجهت نظرتى إلى الستارة القماش فى آخر الدكان ، تخفى وراءها الحصيرة المفروشة التى يأوى إليها حسن لبيبت فى الليل . .

خطوت نحوها وعيناه ترقبانى فى توسل ، مددت يدى فرفعت الستارة من أسفل . .

بوسعى أن أرى انطباع رأس « ميسرة » على المخدة التى تنزّ سوادا . . وليس غير مصباح واحد مضاء دون المصباحين الآخرين . . والسكون المريب الذى قابلنى حين دلفت داخل الدكان . . وحسن كان هناك . . عند مرتفع الأقفاص الخالية بجلبابه وحده . . والذعر فى عينيه . .

مرة نادته ميسرة من شباكها بأعلى الدكان ، ليشترى لها التوت من الفلاحة التى تبيعه على الجانب الآخر . . سألتها رافعاً الصوت ماذا ستعمل به لأشتريه : شرابا مثلا أم مربى ، أم تأكله . . حسن غائب وأنا صديقه وصديق أخيها . . فيما تراجعت برأسها دون كلمة ، جاء حسن من ميضأة الجامع المجاور ، يجفف بمنديله وجهه المبلل . . عندها أطلت ميسرة ثانية ، كأنما رأته عيناها المغلقتان ، تناديه . .

ـ إنها المرة الأولى التى جاءتها هنا . . قبلها كانت تجىء فقط وأخوها غائب لتشترى الخبز . .

استدار محدودب الظهر يجر رجله العاطلة . . تهالك على كرسيه القشى خافضاً رأسه . . لا يتحرك . .

ـ رمقته فى ريبة وقلت !
ـ ألا تصعد إليها وهى وحدها بالشقة ؟
رفع رأسه يحملق مستنكراً :
ـ أنت تعرف أنى لا أقدر على طلوع السلالم بسهولة . . وأيضا . . لا أجسر على فعل ذلك . .

فيما ركزت عينى على وجهه بالأحاسيس المتضاربة فى داخلى ، تبدلت نظرته تقول « أتريد أن ترانى مهانا ؟ . . »

أغضيت عن نظرته . .

كان درج النقود الممتلىء فوق « البنك » . . يقينا كان يعدّ ايراده ليذهب به إلى صاحب الدكان فى مخبزه ، ثم يعود ليبيت فى ركنه . . فهل جاءت ميسرة بغير موعد ؟

كنت أخرج لحسن من حارتنا القريبة جائعا . . تاركا ورائى بيتا خاليا من الطعام . . عنده أجد الأكل الذى يجيئه من بيت صاحب الدكان . . يقول أنتظرك لنتغدى معا . . على الحصيرة يضع الأكل بينى وبينه . . كُلْ . . لا تترك شيئا منه . . علىّ أن أعيد لهم الأطباق فارغة . . يهلّ علينا نصحى بابتسامته ونايه الأبنوس الذى يحمله فى يده دوما « انتظرانى ! ستأكلان سمكا طازجا جئت به اليوم من المطرية » . . يسرع ليأتى بالسمك الذى طبخته أخته . . يشاركنا الغذاء مباهيا بمهارة ميسرة فى الطبخ مع انغلاق عينيها . . حين كانت أمه موجودة كانت تعلمها كيف تتعامل مع الأشياء . . وتسمح لها بتقديم ما طهته بيديها لأبيه المتأفف دوما . . يتكلم عن شغله « كمسارى » بقطارات الفرنساوى ، والليالى التى يبيتها كل اسبوع بالمدينة التى تحيطها بحيرة المنزلة . . وأبوه بقال التموين اللى ذهب ولم يترك له ولاخته سوى أرفف الدكان المهجورة ونصف برميل من زيت الطعام أخذه أصحابه ! . . يتعجب حسن : كيف لم يبن الرجل عمارة كغيره من بقالى التموين . . يقول من أجل أخت كانت أمى توصيه قبل أن تموت ألاّ يقبل الحرام . .

يمسك النای حين يفرغ من الطعام ، ليسمعنا انغاما شجية أستمع لها متأثرا ، فيما ينشغل حسن بزبائنه . . نراه نازلا فى العصر من البيت متأبطا بطانية مطوية محزومة بالدوبار ، النای فى يده : سوف لا يعود قبل أيام ومعه نايه رفيقه الانيس فى ليالى استراحات الفرنساوى ، التى يسهرها مؤرقا بلذغ البعوض . . أسأله فى فضول هل يعزف على النای فى رحلة القطار طويلة المسافات ؟ يبتسم قائلا : ياليت !

كنت أنهض شبعاً . يملؤنى الامتنان والود لحسن ونصحى . . فيما قلبى ينضغط بالكآبة للبيت الذى تركته ورائى خاليا . . .

أى جانب طيب فىّ سحقته الحاجة ، وهبطت به إلى أسفل ! أثمة رجاء يمكن أن ينفتح بابه . . عامان من البطالة . . أمى وأختاى . . وأخى الذى مات والسرير الذى بيع لنفقات دفنه . .

كان بوسعى أن أمد يدى لدرج النقود فى غيبة حسن ، حين يتركنى بالدكان ويذهب إلى مرحاض الجامع أو ميضأته . . لكنى استكبرت أن أخون ! . . واخترت طريقتى التى استخدمتها منذ ليلة الواقعة . .

وكنت استشعر وضاعتى . .

*

تباعدت عن الدكان ، لا أقترب من حسن . . ألمحه من بعيد قاعدا وسط الباب بكرسيه ، فألزم الجانب الآخر . . والكآبة فى قلبى . .

كنت استشعر نظرته التى يتابعنى بها حتى المنعطف المجاور الذى أنحدر منه لأغيب فى حارتنا . .

كان دافىء القلب . . منذ عرفته لم أودّ يوما أن أفقده .

شكا لى نصحى فقد نايه . . لماذا تضيع منا الأشياء البهيجة ؟

كان حزينا . . سوف يشترى نايا آخر . . « لكن القديم الذى عايشنى وعايشته طويلا . . خير ما كان لى » . .

هربت من ليل الاستراحة هناك ، حين لم أجد أنيسى ، إلى ضفة البحيرة الغامضة فى الليل أتطلع إلى القمر . . وجه البحيرة كان مسودا ، لم يفلح الضوء الفضى فى إبادة السواد . . أنت ترى القمر فى الفضاء الخالص قمرا . . من الذى فى مثل حالنا يرى القمر ؟

تركته دائرا أبحث عن أختى الهاربة ، لا أتساءل لماذا . . شققت المدينة الصغيرة شوارع وأزقة ، خجلا أن أسأل هل رآها أحد ؟ . خلت المنضدة الصغيرة من أربعتنا . . لم تعد ثمة وجبات تتحلق لها حول المنضدة . . يسحب كل منا رغيفه حين يوجد ليلوكه وحده . . فليس ثمة شىء آخر لنقيم له الطقوس . .

هل الحياة مستحيلة ؟

فى البعيد كان زبائن حسن يغادرون الدكان بالأرغفة ، والرصيف خال . . بيتنا يقترب يسارا . . عائد لأمى وأختى مطبق الفم بغير كلمة عن تلك الهاربة . . محموما . . هل تملك وعيا لا نملكه . . أم فقدت قبلنا الصمود أمام موجودات الواقع من حولنا ؟ انسرقت يمينا إلى مدخل بيت ميسرة . . توقفت أرفع عينى إليها وهى تهبط السلم . . الآن أراها مفتوحة العينين تنظر لى هابطة فى تمهل من غير أن تتحسس السياج الخشبى . . عيناها خضراوان حلوتان . . امتلأت عيناى بعينيها . . كانت فى ثوبها الأصفر لا تزال ، كأنما لم تخلعه منذ ليلة الواقعة . . انغلقت للتو عيناها فارتعدت . . تحتجب عنها عاهة حسن ، فليتها تبصرها الآن . . هل سترى عاهة بطالق ، وأختى التى هربت . .

حين استقرت قدمها على الدرجة الأخيرة ، تركزت عيناى عليها مرتعشا . .

اندفعت نحوها . . أمسكت بيدها . .

هل فزعت وهى تجذب يدها ، أم انتفضت للسعة يدى الملتهبة كجمرة . .

فى اللحظة التالية تمالكت هاتفة !

ــ من ؟

حين لم تسمع ردا تراجعت صاعدة بظهرها درجتين وصدرها يرتفع وينخفض :

ــ من ؟ . . ما . . ماذا تريد ؟

ظللت حابساً صوتى لا أنطق حتى لا تعرفنى . . سمعت لهاث ، أنفاسها المتصاعد . . صعدت الدرجتين وطوقت خصرها . . فيما حاولت التملص بكل قواها ، جذبتها لفراغ المدخل المعتم . . اعتلى وجهها الذعر . . أطلقت صرخة مرتعبة . . أطبقت بكفى على فمها . . مضيت أجرجرها تجاه الحائط لألصقها به . . . فى حركة خطافية طوقت عنقى من الخلف ذراع كثيفة الشعر كذراع قرد . . انصب فى أذنى صوت يفح !

ــ ماذا تريد أن تفعل بها . .

أفلتتها يداى . .

فى الحال اندفعت كف ضامرة تحت ذقنى تضغطها إلى باستماتة . . كانت الكف صلبة كقطعة من الحديد . . ارتعبت . . جذبنى حسن للخلف بعدا عن ميسرة ، ثم طوح بى عند الباب . . انفلتت ميسرة تصعد السلم على درجاته . . قبل أن تبدر منى حركة وثب حسن نحوى مهاجما . . احتوت يده وحدها رقبتى . . استماتت حولها تغرس أصابعها فى لحمى . . غاصت حتى أحسست أظافرها تنفذ داخل حلقى . .

وطئت الصيحة أذنى . . أفلتتنى يَدُ حسن متراجعا يلهث . . ونظرة نصحى ينقلها بيننا ذاهلاً . .

انفلت خارجا . . أكتم وخزات الألم . . والدم المنبثق من جانبى رقبتى . . حيوان زاحف . . الهاربة والجرح . . ليت نصحى . . تأخر لحظة واحدة . .

كان تجويف رأسى ينزّ خِسّة

أنزف خزيا . .

القاهرة : محمد كمال محمد

فـــهمى الصـــالح

قصـــــة

ثـــلاثة وجـــوه للســـاعى

أولاً . . .

. . . . سحقتـه الدنيـا والرسـائلُ . . سحقـهُ الشـوقُ ، فـاختلفت طباعُـهُ . . . ! كانَ يخـرجُ صباحـاً من الدائـرةِ ، مسرجاً حقيبةَ الأخبارِ ، على دراجةِ الهواءِ . . ثمَّ يوزّعُ البريد على أصحابِه بشاعريةٍ مفرطةٍ وأمنياتٍ طيّبةٍ . . . بعدَ أن يقرأ فى سـرهِ عناوينَ الـرسائـلِ والأسـماءَ ، ويشمُّ أغلفتهـا بهـوَسٍ وتحسّرٍ . . . لا يوجـدُ شخصٌ يعرفُ الـوجوه والأحيـاءَ أكثرَ منهُ . . الأزقّةَ المغلقةَ ، وأجناسَ قاطنيها . . البيوتَ الشاخصةَ ذاتَ الحـدائـيقِ المزهـرةِ . . المحلاّت المتـراصفَة ، بـواجهةِ المسجـدِ الكبـيرِ ، أعـدادَ المتسـولـينَ ، شيـوخـاً ومـرضى وعجائز . . المقاهى المزدحمةُ ، وحلقاتِ الـدومينو ، والـزارَ والشـطرنجَ . . . شـارعَ الأطباءِ ، والبـزازينَ ، والصاغـة ، سوقَ الخضارينَ ، والحـدادينَ ، والفحامينَ ، والطحانينَ . . . الملاعبَ الشعبيّةَ ، وأنديةَ الخمرِ . . الأشعارَ التى نقشت على أضرحةِ الموتى فى القبورِ . . المستشفى الجمهـورى ، ومرافقَ أخرى . وعندَ الظهيرةِ يعودُ متهلِل الوجهِ نقياً ، فينقّبُ بـينَ البرقياتِ الواردةِ إلى أرشيفِ الإبراقِ اليومّى ، عن شىء يهب لـه الاطمئنانَ ، ويضىء فى نفسِـهِ وَهَجَ الأمـلِ الـذى كـادَ ينطفىء . . . ! لكنَّهُ لا يلبثُ طويلاً حتى ينسحبَ إلى عزلتهِ بخطىً حزينةٍ . . . حيثُ لم يحفل بأى كلمةٍ تُعينُه على وضع نهايةٍ لزمنِ الانتظارِ القاتلِ الذى عاشَهُ منذُ عشرينَ عاماً . . حينما شاءَ القدرُ اللعوبُ أن يفصلَ عنه الابنَ . المهاجرَ . لقد تحمّلَ أعباءَ مهنةٍ قاسيةٍ ، طحنت عظامَهُ ، ليكونَ أكثرَ اقتراباً وتذكّراً لأنفاسِ ذلكَ الـطفلِ الشقىّ . . . ! فكـان يناجيـهِ بلوعةٍ آسفةٍ :

ـ « ليتَكَ تفهمُ محنتى ، وتهبطُ إلى الوادى ، الذى يغمُرنى بالوحشةِ والدموعِ » .

وحينَ داهمَ قلبَهُ النضوبُ ، بدأ يكتبُ إلى نفسِهِ رسالةً ، أطّرها بتـوقيعِ الابنِ حسبما تصـوّرهُ ، تخلّصاً من إحبـاطِ الجفافِ ، وانطلاقاً مطعوناً يجدّد الوهمَ فى المشاعِرِ . . . !

تذكرةٌ ..

. . . . وصلت رسالةٌ عن طريقِ الجوّ ، بلا توقيعٍ ، تحملُ عنوانَ بيتِ الساعى واسمهِ . . غيرَ أنَّهُ لم يطّلعْ على الفحوى لأنه قبل لحظةٍ من وصولِ الرسالةِ ، عُدَّ من الغارقينَ فى نومهم الأبدى . . .

ثانياً :

. . . . . تجوالُهُ اليومى الواسعُ ، يسمح لهُ بالانعطافِ نحو البيتِ أحياناً . فالزوجةُ الجوهرةُ ، والرضيعُ اليانعُ ، والراحةُ المثلى قبلَ منتصفِ النهارِ . . ثلاثةُ أسباب تدعوهُ إلى التملّصِ من الواجبِ رغماً عنه ، حيثُ يُركنُ دراجةَ الهوا عندَ مدخلِ البيتِ ، ثم يخرطُ وثاقَها المطاطىَّ ، حاملاً حقيبةَ الجلدِ القديمةَ تحتَ إبطِهِ ، خوفاً من عبثِ صِبْيةِ الطريقِ بما فى داخلهـا من رسائلَ ، وبعدَ ساعة يخرجُ مزهواً ، يفيضُ صوتُه بالغناءِ وقد

نسىَ الحقيبةَ ، مّما يضطرُهُ إلى إخراجِ دفترِ الاعترافِ من جيبهِ . . واملاءِ الأماكنِ الخاليةِ ، بتواقيعَ مزوَّرةٍ تؤكّدُ استلامَ الرسائلِ من قبَلِ أصحابها شخصياً . . !

وعنَد اليومِ التالى ، يُفرغُ محتوياتِ الحقيبةِ البريديّة ، فى غرفةٍ مهجورةٍ ، أصبحت فيما بعُد مخزناً أميناً لهذهِ اللعبةِ الطائشة .

انقضتْ أعوامٌ خمسةٌ ، وديدنُ ذلكَ الساعى لم يتبدَّلْ فهو يبحثُ عن الراحةِ مقابلَ النسيانِ . والزوجةُ لم تضجر من الانصياعِ له ، وما كانت تُخفيهِ سرّاً أعلنتهُ الصدفةُ . . أثناءَ عروجِ زوجها قبلَ موعِد قدومهِ المعتادِ . . ليُصدمَ بنشوبِ حريقٍ فى غرفةِ تكديسِ البريدِ ، وطفلٍ متفحّمِ العظامِ ، ملقىً فى وسطها . . . بينما الزوجةُ الغافلةُ ــ منشغلةٌ باستضافةِ العشيقِ . . !

ثالثاً :

. . . . . تسلّمَ عَمَلهُ كموزّعٍ للبريدِ ، عن عمرٍ تجاوزَ الأربعينَ . . وما يذكرُ : من أنَّهُ لعنَ الطفولةَ فى شبابِهِ . ثمَّ أحبَّها فى الشيخوخةِ . . وأنَّه قد تزوجَ امرأةً زانية ، ثمّ هجرها وتزوّج أخرى ، ماتت فى ليلةِ الزفافِ ، تاركةً له طفلاً أنجبتهُ أيامَ كانا يلتقيانِ معاً فى الخفاءِ . .

ذلكَ ما ليَس لـه أساسٌ من الصحّة والتصديقِ . . لأنَّ مصادر شبهَ وثيقةٍ كانت تزعمُ مقدّما ، بانَّهُ عاشَ وحيداً . . ومـاتَ وحيداً . . فلم يتـزوّج ، ولم ينجبْ ، فهـو عقيمُ النسلِ ، استحالَ وجودَهُ من نسلٍ عقيم . . !

اعترافٌ

لم يكن باستطاعةِ أى شخصٍ من الذينَ عاصروا الحياة ، أن يشهدَ من خلالِ المعايشةِ لوقائعِ تلك الأحداثِ ، بتفاصيلها ، الصغيرةِ والكبيرةِ ، سوى شيخٍ أعمى وأصمَّ وأبكمَ . . . فهو الذى رأى وسَمِعَ وقالَ عبرَ حاسّةِ الشمِّ :

ــ « كان الساعى يعتقدُ بأنَّ جميعَ الرسائلِ معنونةٌ لشخصِهِ . . . ذلكَ مما جَعَلَهُ محتفظاً بها ، وهو نفسُهُ الذى أضرم فيها النارَ . . . لأنَّ أحداً غيرهُ لم يكن قد كتَبها على الاطلاقِ . . . ! » .

بغداد : فهمى الصالح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عمرو محمد عبد الحميد

قصـــــة

فانتـــازيا الخـوف والانـــتشـــاء

ترتيل :

عندما حط النوم على المدينة ، تحرك الرجل السمين فى جحره القديم ، ومشى فى السرداب الخانق بحذر ، ثم ارتقى السلم المتهالك . ولما أدرك الكوة الأمامية ، أطل برأسه منها ، فلامس بشعره وحل الطريق . حينئذ . مسح المدى بعينيه ، اطمأن إلى الظلمة ، ارتكز على كفيه ، وضغط فارتفع جسده شيئاً فشيئا ، كاد يفشل عند انحشار الكرش ، ولكنه ضغط بكل قوته حتى تمكن ، فطلع يتفصد منه العرق ، تلفت حوله ، لمعت عيناه فى العتمة .

كانت الطريق ــ ككل ليلة ــ موحلة ، وكانت الليلة ــ كسابق الليالى ــ باردة ، فقط خُيِّل إليه أن الطريق تبدو أكثر امتداداً ، وأن جدران البيوت المتلاصقة تتمايل على الجانبين . (هل كان المطر شديداً هذه المرة ؟) . اصطدم بحجر كبير ، اضطرب ، كاد ــ وهو الرجل السمين ــ أن يهوى ، لكنه تماسك فى اللحظة الأخيرة واستند إلى جدار أملس . (هل يجدها الليلة أيضاً ؟) . تردد السؤال داخله ، رسمتها خيوط الليل أمامه ، تنتظر عند حافة النهر ، أسفل الدرجات الحجرية ، أجفل ، تابع مسيره ، يتساند إلى الجدران ، يتعاظم صوت الريح فى أذنيه ، وتلتمع عيونٌ خالَها مخبأة فى المنحنيات ، فيزلزل قلبه الواجف فى صدره . سار مغمض العينين ، سار وسار ، وعندما هزّه الصوت الحالم ، عرف أنه قد بلغ الغاية ،

ــ أهذا أنت ؟

ــ . . . . . !!!

لم يردّ ، بصعوبة فتح عينيه ، فاختلج جسده لمرآها ، كانت ــ كعادتها ــ تكتسى بالأسود فتمتزج بالليل وتطلق شعرها محرراً يراقص الهواء ، كيف ميّز احمرار الخد الأيمن وكيف . . .

ــ تبدو متعباً . . هل فسد هواء الجحر ؟

ــ . . . . . !!

مسح ببطن كفه عرق الخَرَس ، مط شفتيه وتمتم لنفسه : نفس سؤالها فى كل مرة ؛ ، أولته ظهرها ، بدت أمامه طويلة طويلة ، تطايرت خصلة من شعرها ، لامست وجهه المعروق ، انتعش .

ــ هل ستنتظر معى ؟ .

ــ لكن . . أقصد . . سوف . . لـ . .

كاد لسانه يُنبت كلماً ، لكن سؤالها المتوقع . . أشعل الثورة الباردة فيه .

تبيين :

ها هى امرأة النهار . . لا تكف عن ممارسة طقوسها الأبدية معه ، إذن لن تأتى بجديد ، ستنضو عن نفسها الثوب الأسود وتكشف جسدها للريح ثم تسير صوب الجبل العالى ــ تتمهل أول الأمر ــ مرتلة أغانيها للنهار الذى تنتظر ، وقبل أن يبزغ أول شعاع ، ترقص رقصها الهمجى ، ثم تسمعه ضحكتها

الساخرة ، وقد لا تراه مهرولاً صوب جحره القديم .
ـ عبرطريقه الليلى الموحل ـ ، لكنها ترقص بنفس الهمجية ، تضحك بنفس رنة السخرية ؛ لأنها لا تملك مدافعة إحساسها العميق بالانتشاء .

الاسماعيلية : عمرو محمد عبد الحميد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إبـــراهيم قنديـــل

قصـــــة

كـــــلام على كـــــلام

■■ أنا .

وهأنتذا يا عبد الله أمام المرآة ، مرة أخرى ، تبحث عن معنى لهذه الكلمة . عشرون عاماً انقضت وكأنها لم تنقض ، أيامٌ بكَ انكفأتْ وقامت ، مالت واستقامت ، تراكمت رمادَ تبغ وتطايرت رائحةَ دخانْ ؛ ليالٍ تكثفتْ يعينيك خثراتِ دم وقطراتٍ من بكاءْ ؛ أفئدة تسربتْ إلى دمك وشخوص انسربتْ من ذاكرتك مع القيء والدمع وأبخرة النسيان ؛ مساحات عَلِقتْ بنعليك وسقطتْ ، وبلاد تعلقتْ بقلبك واستقرت ؛ عمر يتململ فى حضرتك كالضيف العجول ووجود ينعقد مسبحةً من شظايا لمرايا لا تطالعك على صفحاتها أجمعين سوى هذه العكارة الشائهة التى تغيم على وجهك الآن . . نفس العكارة التى بترتْ ، قبل عشرين عاماً ، فرحتك الأولى بارتفاع قامتك . . إلى مستوى مرآة حوض الاغتسال .

ها هو ذا جسدك منتصباً فى مواجهتك ، عارياً ، على صفحة المرآة ، ونفسك راكعة أمام صلادة سطحها المصقول اللماع الذى لا يجيب . عشرون عاماً وما اصطفاك إله المرايا نبيًّا ولا فى بريقه استبانت لك هذه «الأنا» ؛ وهأنتذا ليس لديك بعد ما تريقه قرباناً سوى عُرْيك . امتصت منك المرايا جموحَ التساؤ ل وما تركته فيك ندلَّةُ السؤ ال . غرقتَ فى ظلمة مرآة ليس لها قرار ، تعبتَ من صراخك ويبس حلقك ، كلَّت عيناك فما عدت تعرف هل ما يغيم على وجهك من عكارة هو روحك أنت التى تبحث عنها أم محض وسخ على سطح المرآة أم وهم يختلقه ضعف إبصارك . تهرب إلى مضجعك لينزع عنك كربتك فيستحيل السقف فوقك مرآة ثقيلة تهبط إلى صدرك وكلما رفعتها هوت لتكتم أنفاسك مرة أخرى .

أين من هذا العُرْى يا عبد الله تختبىء هذه الأنا ؟ وماذا من هذا الجسد هو أنت ؟ . . وجهك البعيد المعكور الذى جعلته «الماريجوانا» أبيض باهتاً كوجوه الموتى ، أم صدرك الذى تراكمتْ عليه طبقاتٌ من ترهّل يتوارى تحتها قلبك الراشح بمرارة العجز والقنوط ، أم ذلك الراقد الآن تحت بطنك منكمشاً كأنه لا شىء ــ كأنه ليس جنيًّا يشدك إذ يصحو فى عاصفة من جوع إلى غابات من نار وبحيرات من ذهب مصهور . . ؟ أم ماذا . . ؟ . . وأين . . ؟ .

كم مضى من الوقت وعبد الله واقف هكذا أمام المراة ؟ هو لا يدرى ؛ فالماريجوانا مخدر يعابث ، أول ما يعابث ، إحساس المرء بالزمن ، ويجعله كريشة تتلاعب بها رياح متعاكسة فتمتد لحظة واحدة ساعةً وتنقضى ساعة كاملة فى لحظة .

تلاشى إحساس عبد الله بحدود الحجرة من حوله ، وبوجود أى كائن سواه فى طوابق البناية الثلاثة ؛ لفّه المخدر فى شرنقة من حرير أسود فصلتْ ما بينه وبين المدينة لم يعد هناك سوى ومضات خاطفة تنعكس على زجاج النافذة المغلق قادمة من كشافات المطار الذى يمتد بينه وبين البناية خلاء من الرمل لأكثر من خمسة كيلو مترات . ومن بين إصبعيه انزلق عقب إحدى لفافات الماريجوانا التى يمده بها أحد أصدقائه الأمريكيين .

أاايه . . أين من هذا العرى يا عبد الله ؟ . .

انزلق السؤال ، هذه المرة ، على الجدار الداخلى لجمجمته بطيئاً وملوناً ، كما تتدحرج كرة البلياردو قبيل سكونها مباشرة . كان المخدر قد أذاب محتويات دماغه كلها وحوّلها إلى سحابة من غبار مضيء معلقة بفضاء رأسه ؛ وبدأ يفقد القدرة على الاحتفاظ بجسده منتصباً على سطح المرآة التى أخذت تضيق وتتسع وتقترب وتبتعد ، ببطء شديد حيناً وبسرعة خاطفة حيناً آخر . وكان الموت الماريجوانى الثقيل يضغط عليه هابطاً بجسده لأسفل ، فانكفأ على المرآة محتضناً خياله الذى ضمه وانزلقا سوياً إلى القاع .

■■ أنا .

[حاشية من أول الإفاقة على متن من آخر الوهم] .

وهأنتذا ، ياعبد الله ، أمام المرآة مرة أخرى تبحث عن معنى لهذه الكلمة . أنا عشرون عاماً انقضت وكأنها لم تنقض ؛ أيام بك انكفأتْ وقامت ، مالت واستقامت ، تراكمتْ رمادَ تبغٍ وتطايرتْ رائحةَ دخانْ ، ليالٍ تكثفتْ بعينيك خثراتِ دمٍ وقطراتٍ من بكاءْ ، أفئدة تسربتْ إلى دمك وشخوص انسربتْ من ذاكرتك مع القيء والدمع وأبخرة النسيان ، مساحات علقتْ بنعليك وسقطتْ وبلاد تعلقتْ بقلبك واستقرت ، عمرٌ يتململ فى حضرتك كالضيف العجول ووجود ينعقد مسبحة من شظايا لمرايا لا تطالعك على صفحاتها أجمعين سوى هذه العكارة الشائهة التى تغيم على وجهك الآن . . نفس العكارة التى بترتْ ، قبل عشرين عاماً ، فرحتك الأولى بارتفاع قامتك إلى مستوى مرآة حوض الاغتسال .

[لم تكن مرآة حوض بالمعنى المعروف ، فى حقيقة الأمر ، بل جزءاً غير منتظم من بقايا المرآة الداخلية لمصراع خزانة الملابس التى جُهزتْ بها أمه ، وكان أبوه قد حطم المصراع ومرآته ، ذات شجار ، على رأس أمه التى جعلتْ من أكبر الشظايا مرآة للحوض . غير أن هذه الحقيقة قد صهرها فى السنوات الأخيرة ، على ما يبدو ، وميض المرايا البلجيكية الفاخرة التى اعتاد عبد الله على مطالعة وجهه فيها مذ جاء للعمل بالمملكة العربية السعودية] .

ها هو جسدك منتصباً فى مواجهتك ، عارياً ، على صفحة المرآة ، ونفسك راكعة أمام صلادة سطحها المصقول اليَلْمَع الذى لا يجيب . عشرون عاماً وما اصطفاك إله المرايا نبيّا ولا فى بريقه استبانتْ لك هذه الأنا ؛ وهأنتذا ليس لديك بعد تريقه له قرباناً سوى عريك . امتصتْ منك المرايا جموح التساؤ ل وما تركته فيك هو مذلة السؤال ؛ غرقتَ فى ظلمة مرآة ليس لها قرار ، تعبتَ من صراخك ويبس حلقك ، كلّتْ عيناك ، وما عدت تعرف هل ما يغيم على وجهك من عكارة هو روحك أنت التى تبحث عنها أم محض وسخ على سطح المرآة أم وهم يختلقه ضعف إبصارك . تهرب إلى مضجعك لينزع عنك كربتك فيستحيل السقف فوقك مرآة ثقيلة هابطة فوق صدرك وكلما رفعتها هوت لتكتم أنفاسك مرة أخرى .

[عبد الله مثقف عربى تقدمى ، يكتب الشعر والقصة ، وها هى ذى حكايات التوراة والأساطير الإغريقية أقرب شىء يعبر به عن نفسه فى أزماته الشخصية ، وليس فى كتاباته وحدها . لقد تشكل وعى عبد الله من خلال كل ما طالته يداه من منتجات الفكر الغربى ، الذى يندر أن يخلو من إشارات توراتية وإغريقية ، والذى قد رسَّب بدوره على أعصاب عبد الله خلاصات هذه الحكايا والأساطير . هو لم يقرأ صفحة واحدة من أساطير الاغريق ولا من التوراة ، ولم يعرف من القرآن سوى ما فرضته عليه المدارس ومكبرات الصوت فى المآتم التى كان أبوه يصر على اصطحابه معه إليها] .

أين من هذا العربى يا عبد الله تختبىء هذه الأنا ؟ وماذا من هذا الجسد هو أنت ؟ . . وجهك البعيد المعكور الذى جعلته الماريجوانا أبيض باهتاً كوجوه الموتى ، أم صدرك الذى تراكمت عليه طبقات من ترهل يتوارى تحتها قلبك الراشح بمرارة العجز والقنوط ، أم ذلك الراقد الآن تحت بطنك منكمشاً كأنه لا شىء ــ كأنه ليس جنيّا يشدك إذ يصحو فى عاصفة من جوع إلى غابات من نار وبحيرات من ذهب مصهور ؟ . . أم ماذا ؟ . . وأين ؟ .

[القارىء المدقق قد يلاحظ أن أجزاء الجسد الثلاثة التى توقف عندها عبد الله باحثاً عن «أناه» تتناظر إلى حد بعيد مع التقسيم الثلاثى للنفس البشرية كما قدمه فرويد ، العالم النمساوى ، اليهودى . والقارىء الذى يعرف عبد الله عن قرب سيلاحظ أن بحثه عن «أناه» فى تفاصيل جسده العارى على صفحة المرآة يتطابق مع بحث شخصية تريزا عن روحها فى جسدها العارى أمام المرآة فى آخر رواية قرأها عبد الله ، «خفة الوجود التى لا تحتمل» ، لميلان كندرا ، الكاتب التشيكى ، اليهودى . القارىء الذى يعرف عبد الله منذ أمد بعيد سيتذكر أن عبد الله حين تعرف على قصص آرسين لوبين فى طفولته المتأخرة ظل لفترة طويلة حريصاً على دخول البيت من نافذة الحمام ؛ وأنه ، فى شبابه المبكر ، حين أصرَّ أهله على أن يلتحق بجامعة القاهرة.ليقيم مع خالته توفيراً للنفقات صرخ باكياً : بالله عليكم ، كيف يمكن لرومانسى قلق أن يتجول بتساؤلاته وعذاباته الوجودية فى أزقة شبرا أو حتى تحت أسوار

القلعة ؟! هل قرأتم عن شيء كهذا من قبل ؟ . . دعوني أذهب إلى جامعة الاسكندرية . . إنني بحاجة إلى بحر ! .

● القارىء الخبيث سيتذكر الآن أن عبد الله بعد أن احتال على أهله ، بمجرد وفاة أبيه ، ونقل قيده إلى جامعة الاسكندرية ، لم يكن يخرج إلى البحر إلا فى منتصفات الليالى لاصطياد مومس رخيصة أو لمجرد الاستمتاع بالتحدث إليها . القارىء الساخر قد يتذكر بهذه المناسبة احتفاء ثلة عبد الله من الأدباء الطليعيين ، ونقاده الذين يطبق تعاليمهم حرفياً ، بتلك «الروح الساحلية» فى كتاباته «التى تُفجر ذاكرةَ اليود ويلخص تشكيلُها الجماليُّ الماءَ وينفتح متنُها الدلاليُّ على المرأة ــ البحر والوطن ــ البحر والقصيدة ــ البحر والبحر ــ البحر» . . . القارىء المدقق والخبيث والساخر ، والذى يعرف عبد الله عن قرب ومنذ أمد بعيد ، الذى هو كاتب هذه السطور ، قد يدرك الآن أن عبد الله أكذوبة وحيدة الجنس تكبر بالتهام نفسها ، أنه معجزة الانكفاء على الذات وخيانتها فى آن واحد ، وخداع الأنا والآخر فى آن واحد ، وأنه بهلوان أعمى يتقافز على خيط من نور فى سيرك مظلم بلا متفرجين . أما «القارىء المرتد» ، كما يسمى نفسه صديقى الشاعر الذى هجر الشعر وانصرف إلى قراءة السِّير الشعبية وإعادة حكيها لأطفاله وأطفال جيرانه ، فلم يكن «ظلامياً» ولا إرهابياً حين ألقى معظم ما بمكتبته من كتب مترجمة و « شبه مترجمة إلى النار وهو يردد الدعاء التالى . . » اللهم أنى أعوذ بك من شر ثقافة المستشرقين والمستغربين ومن شر ثقافة المبشرين والمتفرغنين وثقافة المتنطعين على التراث فرجةً للسائحين ، ومن شر ما بنفسى من أولئك أجمعين . اللهم إنى قد تبت إليك عن قراءة الكاتب ذى البصر المعطوب ، والمستغنى عن الواقع بالنص المكتوب . إنك واسع الرحمة وغفار الذنوب . اللهم إنى مستخلفك فى أهلى وولدى فاهدهم ، اللهم ، إلى ما أضلنى عنه المضللون . اللهم فرجّ علينا كرب الدَّيْن والتبعية وفوضى الأدب الحديث ؛ واشفنا ، اللهم ، من الحساسية الجديدة وآثار النكسة ، وطهر بلادنا من الحداثة والانفتاح وبقايا السبعينات الأخرى وأنت عليم فى الصدور . اللهم اكفنى شر مثقفى اليسار ، أما مثقفو اليمين فأنا كفيل بهم . . .] .

كم مضى من الوقت وعبد الله واقف هكذا أمام المرآة ؟ هو لا يدرى ؛ فالماريجوانا مخدر يعابث ، أول ما يعابث ، إحساس المرْء بالزمن ، ويجعله كريشة تتلاعب بها رياح متعاكسة ، تمتد لحظة واحدة ساعة وتنقضى ساعة كاملة فى لحظة .

تلاشى إحساس عبد الله بحدود الحجرة من حوله ، وبوجود أى كائن سواه فى طوابق البناية الثلاثة ؛ لفّه المخدر فى شرنقة من حرير اسود فصلتْ ما بينه وبين المدينة . لم يعد هناك سوى ومضات خاطفة تنعكس على زجاج النافذة المغلق ، قادمة من كشافات المطار الذى يمتد بينه وبين البناية خلاء من الرمل لأكثر من خمسة كيلو مترات . ومن بين إصبعيه انزلقت نهاية إحدى لفافات الماريجوانا التى يمده به أحد أصدقائه الأمريكيين العاملين بشركة «أرامكو» .

أاايه . . أين من هذا العرى يا عبد الله ؟ . .

انزلق السؤال ، هذه المرة ، على الجدار الداخلى لجمجمته بطيئاً وملوناً كما تتدحرج كرة البلياردو قبيل سكونها . كان المخدر قد أذاب محتويات دماغه كلها وحوَّلها إلى سحابة من غبار مضىء معلقة بفضاء رأسه ؛ وبدأ يفقد القدرة على الاحتفاظ بجسده منتصباً على سطح المرآة التى أخذت تضيق وتتسع وتقترب وتبتعد ، ببطء شديد حيناً وبسرعة خاطفة حيناً آخر .

وكان الموت الماريجوانى الثقيل يضغط عليه ، هابطاً بجسده لأسفل ، فانكفأ على المرآة محتضناً خياله الذى ضمه وانزلقا سوياً إلى القاع .

[إلى القاع ! وماذا بعد يا ابراهيم ؟ ماذا بعد ؟! إلى متى سيظل أبطال قصصك ينتهون إلى هذه النهايات المنسحقة اليائسة ، منسحبين من العالم الواقعى المحيط بهم لى الموت أو الجنون أو إلى هذه الوحدة العاجزة المقهورة ؟

إنهم جميعاً عبد الله ، يا ابراهيم ، فى حقيقة الأمر . نعم . . جميعاً . . مهما تنكروا أو تخفّوا . كلهم يولد ، على الورق ، فى تلك المسافة الضيقة بين الأنا والمرآة ، حيث لا بُعد ثالثاً إلا الكتاب ، أحياناً . ألا تذكر قصة كتبتها قبل خمسة عشر عاماً عن شخص ، بلا اسم ، محاصر بين كتبه وذاته ومرآته فى حجرة فقيرة ، وحيدة على سطح بناية عالية ، وليل مطير عاصف يكاد يقتلعه هو وحجرته إلى الفضاء ؟ . . ألا تذكر ؟ . . «قرقع الرعد مرة أخرى وتعاظم وقع جحافل المطر على سقف الحجرة ، وعلى سطح المرآة تهشمت على وجهه المحبرة الزجاجية والتمع تحت انسيال الزرقة عليها عنكبوت من الشروخ وطوَّحت يداه المرتعشتان بالمنضدة فتناثرت من عليها الأوراق والكتب وكسرة خبز وقلم ومصباح الكيروسين الذى انطفأ متهشماً عند ارتطامه بالأرض . . . » هل نسيت ؟! كانوا جميعاً عبد الله ، يا ابراهيم ، بدءاً من هذا المجرد الذى لا يحمل اسماً ، والذى سجنك معه فى عزلته فجلست تكتبها قصةً ، ذات ليلة علمتَ أنت ، فيما بعد ، أنها كانت نفس الليلة التى استشهد فيها أخوك عبد المحسن بالدِّفرسوار . . . كلهم ، يا ابراهيم ، هذا العبد الله ، الذى لم يَخرج من ذاته إلا إلى

مرآته أو كتابه ، والذى ما كان يمكن لأمّك أو إخوتك أو أصدقاء طفولتك أن يأخذوا عنه أو منه . هم أهلك وهو بدعتك التى أعْلَيتها عليهم ، وأخفيتها عنهم ، تماماً كما تخفى عورتك ، فى نفس الوقت . . بدعتك التى انصرفت عنهم إليها حتى حبستك بين مراياها وورقها وتوحدت بك ومعك . صرت ترى أمك بعينه ، تزوِّج أختك بنصائحه ، تخاطب شعبك من كتبه المترجمة ، تحرر على الورق وطنك المغتصب إبراءً لذمته وتستراً على عجزه . صار عبد الله بمراياه وكتبه هو أنت بشحمك ولحمك يا ابراهيم ؛ فانظر كيف انتهيت وإياه إلى قاع المرآة ، وابْك يا ابراهيم . . ابك حتى تأكل عينيك الدموع وقل «يا ليتنى كنت ترابا» .

قلت «يا ليتنى كنت ترابا» . وبكيتُ . بدمع الرعب من المصير الذى ينتظرنى وقد تحولت إلى مجرد سراب على سطح مرآة ؛ وبدمع الندم لأننى هو من ناداه هذا الصوت من قبل ولم ينصت ؛ وبدمع الرجاء طمعاً فى منفذ أخرج منه أنا أو عبد الله إلى إمكان البعث والبدء من جديد . بكيت حتى عرفت خلال ما يقرب من ثلاث سنوات أنه ليس كبكاء الخائف الندمان بكاء إذا ظل بقلبه شىء من رجاء . بكيت وعبد الله محمد على صفحة المرآة ، لأكثر من عامين ، يشده خياله لأسفل وأشدّه أنا لأعلى ، وأستنجد به فلا ينجدنى . قلت أجرب أن أخرجه من سجنه بالذى سجننى به ، بالكتب ! . . وصرت أحاصره بكتب تقارع الأضاليل التى كبلتنى بها كتبه لسنين . جعلته يقرأ «شروخ فى مرآة الأسلاف» لمحمد عفيفى مطر ليعرف أن هموم الكاتب الشخصية لا يمكن أن تكون هموم أمته إلا إذا كان يحمل سيفها ، فعلاً لا مجازاً ، أو يملك ذاكرتها الحيّة ، بنت الواقع لا الكتاب ، كما يبدو فى قصة «ستر العورة» لسعيد الكفراوى ، أو يسكن جرحها الحى ، لا المفتعل ، كما تشير قصائد محمود درويش . وجعلته يقرأ «القومية العربية والاسلام» ليعرف أنه لا حاجة بى «لأن أقدم نفسى وقومى ووطنى وتاريخى وثقافتى يستدفىء به سادة العالم وتابعوهم» كما يقول طارق البشرى ، وأن استبعاد المفاهيم والنظريات الغربية شرط أساسى لفهم علاقات عالمنا نحن عرباً ومسلمين كما يرى منير شفيق ، وليعرف أن مفكراً مسيحياً عربياً هاماً قد قال «كان محمد كل العرب ، فليكن كل العرب اليوم محمداً» ، وليعرف أن قائد قوات الحلفاء الذى اجتاحت قواته دمشق توجه من فوره إلى قبر صلاح الدين وقال «ها قد عدنا يا صلاح الدين» ، وجعلته يقرأ كتاب «التقصير» ليعرف أن يهونتان جيفن الشاعر الاسرائيلى التقدّمى الساخر والانسانى المؤيد للسلام كان مع كل هذا ضابطاً مظلياً وشارك فى الثغرة ، وربما كان هو شخصياً من قتل أخاه عبد المحسن . . .

وهكذا سلطت نفسى على عبد الله حتى تململ على سطح المرآة فسارعت بتحريكه ودلكت له ظهره وصدره ، صببت على جسده ماء مثلجاً حتى تحررت حواسه ، إلى حد ما ، من غياهب المخدر ، وشرعت أتلو فى أذنه اليمنى «قل هو الله أحد ، الله الصمد . . » . مَهْلاً يا ابراهيم . . مهلاً ؛ حاذر من التسرع ، ولا تجعل رغبتك الشخصية فى الفكاك من أسر عبد الله الآن تدفعك إلى افتعال نهاية سعيدة لحكايته . إنك لا تستطيع ، بين عشية وضحاها ، أن تُخلص نفسك منه أو أن تخلصه من خياله بعد توحد دام عشرين عاماً . هذا هو السخف بعينه ، كما أنه فى واقع الأمر استبدال لخلاصه الحقيقى المنشود بخلاص ظاهرى ، فى نفس دائرة ردود الأفعال المبالغ فيها أو الملفقة . . تريثْ ، يا ابراهيم ، واعلم أن كل تغيير فى المسار الدرامى لشخصية عبد الله قد صار مرهوناً بتغيير مسار وَعْيك أنت ، ككاتب وكانسان . واسمحْ لى أن أنبهك إلى أن تحويل عبد الله من مثقف سلبى مفعول إلى مثقف ايجابى فاعل أمر لا يحتمله هذا المبنى الهش لقصتك دون الوقوع فى المباشرة والخطابية والتقريرية والفجاجة ، كما فعلت بالمقطع السابق مباشرة . صحيح أن هذا المقطع ، ومقاطع أخرى . . كدعاء القارىء المرتد ، قد تغرى القارىء العادى بالالتفات إلى محنة عبد الله ، وربما الانفعال بها ، ولكنها فى نفس الوقت ستستعدى عليك القارىء المثقف ــ أقصد القارىء الكاتب ــ الذى يؤمن أن دور عبد الله وقدره ومكمن بطولته هو أن يظل غاطساً بقاع مرآته . . . عموماً ، أنت حر يا ابراهيم فيما يتعلق بإبقاء مثل هذه الأجزاء أو حذفها ؛ أما تعجلك لتغيير عبد الله تغييراً جذرياً مع نهاية هذه القصة فغير مقبول بالمرّة . ولا يخدعنك أن صديقك «القارىء المرتد» قد حقق هذه المعجزة على أرض الواقع . نحن هنا فى فضاء الورق ! إن أقصى ما يمكنك أن تفعل مع عبد الله ، الآن ، هو أن توقظ فيه بصيصاً من جموحه الشخصى القديم فى مواجهة المرايا ، حتى يمكنه أن يتراجع مبتعداً عن المرآة ، التى يعانق خياله على سطحها الآن ، خطوتين أو ثلاثا إن سمح له الإنهاك والمخدر . يمكنه الآن ، إن أردت ، أن يقذف بأقرب جسم صلب فى متناول يده ــ وليكن منفضة سجائر نحاسية كبيرة ــ إلى تلك العكارة الشائهة التى تغيم على وجهه على صفحة المرآة .

كفر الشيخ : إبراهيم يوسف قنديل

محمـــد عبد السلام العـمرى

قصـــــة

زوجـــة لابـــن الأرمـــلة

يخيم على المنزل المنعزل ظل من الأسى ، يلازم أفراده أينما ذهبوا ، وعندما يجلسون يروى كل منهم ما يجول فى عقل الآخرين .

تنهدت وأشارت إليه ، لمحها تنظر إلى زوجته نظرة خاطفة ، تضع يدها اليمنى بين الفخذين ، مضطجعة إلى الخلف ، وتحركها من أعلى إلى اسفل ، تمخطت ، وبصقت .

لم تنتبه لكنها أحست أن ما يدور حولها متعلق بها ، كانتا تنظران إلى بعضهما ، فباعد نظراته عنهما النظرات المتبادلة الرمضاء بينهما .

يرى أن الحوارات الصامتة خارج المتاهات المتواضعة للعبة الصبر موقوتة ، وأن الوقت الذى يجتمعان فيه محمل بنوايا دفينة .

امتعضت ، وانتفضت واقفة ، يأتيه من المطبخ صياحها الذى لا يهدأ بعد أن تكيل إحداهما للأخرى ألفاظاً غير لائقة يستمع ويصمت .

بعد أن تناول غداءه التف الأولاد حوله ، بالذات هذه البنت الصغيرة التى تفتح حضنها وتمط شفتيها رافعة رأسها رانية إليه ، تمطره بقبلات عديدة ، تشبه أمه تماما جميلة جمالاً أخاذاً .

ترفض أمه تناول الغداء معهم ، فيجلس تائها فى الصمت ، غارقاً فى تلك الخيالات والأوهام التى تطارده ليلاً ونهاراً ، متداخلة مع الحقيقة ، ومتشابكة معها .

الآهات المتعبة بالليل المنبعثة من غرفة والدته والاستغاثات بصوت خافض واهن ، ثم الصمت . . يتكرر الدق على باب المنزل من الخارج ثم يسمع الصوت البعيد القادم من الحجرة المجاورة . . . الحقنى ! . . تعال ! . . تعال . .

يأتى الدق على الباب عندما يكون اللون الفضى قد بدأ يتسرب خلال السماء ، عندها يجثم الكابوس على أنفاسه .

يرى زوجته حاملة قربتين كبيرتين لهما مقدمة مدببة ، ومؤخرة بيضاوية ، والقربتان عليهما رسوم لثعابين وحيتان وتماسيح ملونة بألوان فاقعة ومخيفة ، وتنثال الدموع من أعينها . . والثعابين تتلوى وهو يحاول أن يبعدها بيديه عنه ، ولا يقدر على الحراك ، وهى تقربهما منه ، يصرخ بعزم ما فيه ، لا يخرج الصوت .

تبوح نفسه بهزائم وشتائم ؛ مستغرقة هى فى النوم ، يوقظها ثانية فتبعد يديه عنها باسترخاء ، ثم تستغرق فى النوم مرة أخرى .

فى حملها للقربتين يراها وسط الظلام مبتسمة ، وعيناها الواسعتان تحدّقان فيه بتركيز ، ووجهها كالنور ، والظلام الطبيعى يحيطه إلا منها فيصير هذا التباين مؤكداً ثم يسمع الدق على الباب .

تقول وجَدْتها تطاردك ، وجدت بين يديها بندقية ، شبه

علىّ ، هل هى بندقية أبيك الذى تركها وضاعت ، أم هى البندقية التى وجدناها فى وسط الدار حين كنا نحفر فى تلك الليلة .

يقوم بالليل المتأخر قبل الفجر ينادى على أطفاله ، دائماً البنت تلبى نداءه فتقوم معه إلى دورة المياه . عندها يجد على مداخل الغرف شباشب مقلوبة ، وأوراقاً مكومة ، ولعب أطفال كل أعتاب الغرف لتلك الدار الكبيرة يجدها مسدودة بتلك الأشياء المكومة يقوم بلمّها ، وتأبى قطعة القماش القديمة أن تطيع ، ملصقة مدقوقة بالمسامير فى حلق الباب الخشبى وبالصمغ فى بلاط مدخل الغرفة .

مع قدوم اللون الفضى يسمع الصفير المنتظم المتقطع الذى تتحرك زوجته اثر سماعه إيّاه ، تنظر إليه فيتناوم فتقوم ناظرة من شيش شباك البلكونة إلى الخلاء الواسع .

يرى إضاءة الفضاء الفضى من خلال الشيش قادمة متمهلة ، تشجيه أثناء ذلك أصوات العاصفير وتغريد الطيور الفرحة المنبعثة من الشجر المحيط بداره .

من الحديقة تأتيه رائحة زهر الليمون والرائحة الطازجة للأرض الخضراء والحقول الندية تبعث فيه الانتعاش .

يقيم فى مكان ما من صحراء مترامية ، زرعوا المساحات المتاخمة ، لم يستطع أحد أن يتقدم إليه ويجىء .

ويسترسل فى النوم ــ يأتى الدق على الباب ، تكون هى تلك الساعة القلقة المداهنة ، المراوغة ، التى لا يستطيع فيها أن يستيقظ ، يتسرب اللون الفضى ويسيطر بتؤدة على الأرجاء الواسعة .

يسمعها تنادى ، لا يريد أن يسمع الأولاد استغاثاتها فيحاول ، ولا يقدر على القيام لمساعدتها يتكرر الدق على الباب ، ينظر إلى جواره فتبدو كالكابوس الجاثم مستغرقة فى النوم ، لا يقدر على المناداة ، لا يقدر على القيام ، صوته لا يخرج ، ويداه مكبلتان ، يشدّهما من أى مكان يقع تحت يده ، صارخاً فيها لماذا لا توقظيننى ؟ ويكرر السؤال ، يأتى ردها بين اليقظة والنوم ، لم أسمعك ، ثم تغفو بصوت شخير متقطع عال .

يكلمها ، وهى مستلقية ، تعيد تكرار ما تقوله ، يستدير على الجانب الأيمن ، أحس بانتفاخ مثانته ، فتح باب الغرفة بسرعة وجدها واقفة ، ارتدت فزعة ثم تماسكت ، نظر من خلال الباب الموارب إلى زوجته التى تواصل إرسال الصوت العالى المتقطع ، أقفل الباب خلفه فمشت منكسة الرأس إلى حجرتها ، واصل النظر إليها ، لم تنطق ، ثم انفجرت بالبكاء .

طالعته الشباشب المقلوبة والخرق القديمة الملقاة أمام أبواب الغرف ، يجد لعب الأطفال متجاورة مع الشباشب المكومة أكواماً بجوار أكوام ، يقوم بلمّها ووضعها فى أماكنها .

يتمدد على السرير بجوارها ، جاءه حلمها ، لم يفق ، يحاول أن ينقذ نفسه بالصراخ المكتوم المفكك إلى الداخل ، فتحت عليهما الباب ، رآها واقفة ، صامتة ، نظر إليها ، قالت رأيتها وأنا أصلى قادمة إليك ، ولم أنتبه إلا على سماع صريخك .

ثم يأتى الدق على الباب ساعة الخدر فلا يفيق ، فدماغه ثقيل وعيناه تنظران إلى الداخل ، تنادى فيتقلب متوجعاً ، يقوم قليلا . . قليلا . . يداه مخدرتان وساقاه يسرى فيهما التنميل ، وجسده يؤلمه هذا الوجع الثقيل المستمر السارى فيه الدبيب النملى جعله جزءاً من المرتبة يتحرك فيتحرك الجزء الذى أسفله والجزء الآخر ثابت بفعل ثقلها .

تستغيث بعد تكرار مناداة ، تلك اللحظة تراها أيضا ، تحدق فيها ، تخيفها ، تمشى خلفها ، السكين دائماً فى يدها .

لم أكن أقصد عندما رأيتها صدفة ، تكرر رفع ثوبها ، رأيت ساقيها المتخثرتين أن بها بثوراً وفجوات وانتفاخات . عرقها كثير .

ترفض تناول الغداء معهم ، تقول إنها صائمة ، رآها حريصة على إعداد طعامها ، ولا تخرج من المطبخ قط ، تعد الطعام وتغسل الأطباق ، تقضى وقتها فيه إلا ساعات الصلاة التى تكثر منها فى الليل .

لا يستطيع أن يأكل إلا معها إذا أعدت الطعام ومن نفس طبقها ، لا يتناول الشاى منها ، لا يدعها تعدّ له شيئاً إلا غسل الملابس والفراش .

ويأتيها مفتقدا لها ، كأنه لم يعاشرها منذ فجر التاريخ ، يشتاق إليها ويرغبها ، وإذا ساعدته رغبته بقى فى حضنها مواصلا الليل بالنهار ، يحس بالامتداد والتواصل والأمان .

تنظر إليه عندئذ بلا مبالاة ، وهو ينزف صادقا ، وهى غير آبهة .

تحذره منها وتقول إن رائحتها لا تطاق ، فينظر بعينين مشتعلتين بالغضب الصامت ، لا تقدر على البوح والمواجهة .

تفاجئه شقشقة العصافير وأضواء الفجر متسللة إلى بهوبيتهم الواسع وهو فى حالة بين اليقظة والنوم ، يقاومها لكنه ثقيل كابس ، لا يقدر على فتح الجفنين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يسمع دبيباً وزحفاً لأقدام تقترب مع الدق على الباب الخارجى عند اقتراب الفجر .

ألف البيت الكئيب ، وتكيف معه ، تقول : انظر ماذا تفعل بملابسى ، وماذا تضع عليها ! ثم تنفجر بالبكاء ، تقذف اليمين تلو الآخر بأنها لم تفعل شيئا ، ولم تضع شيئاً .

تقف له فى الصباح وهو خارج ، وتنظر إلى ملابسه ، والفوطة على كتفه ثم تقول اهتم بنفسك ، لا تهمل نفسك ، صحتك يا ابنى ، ثم تتوارى بعد أن تقول إن المياه مقطوعة .

تبقى بجوار الطعام إلى أن يأتى الأولاد من الخارج ، فتجهزه ، تنادى عليهم ، لا تضعه إلا بعد أن يخرج إلى الصالة ، تأتى من العمل متأخرة فتجد الطعام ممدوداً ، والجمع حوله ، تستشيط غضباً ، تقلب البيت زوبعة ، فتنزوى والدته وتبكى .

أشعل سيجارته ، ثم مرق خارج المنزل على غير عادته ، تجاوز الحديقة والأرض الخضراء المجاورة ، نظر إلى الأفق البعيد ولم ينم .

سمع صفيراً منقطعاً فتناوم ، نظرت إليه من بين رمشى عينيها ثم انسلت من السرير ناظرة من شيش باب البلكونة .

خرجت منسحبة من الغرفة ثم انفتح الباب أثناء الدق ، أغلقته بهدوء .

هب واقفاً ، جرى ليفتحه فاستعصى عليه ، بحث عن مفتاحه الخاص ، رآها من بعيد مع انسياب اللون الفضى كأنها ظل متداخل فى آخر .

القاهرة : محمد عبد السلام العمرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إبراهيم عيسى

قصـــــة

العصـــفور ينـــقر العصـــا

طار العصفوران فى مقدمة قافلة العصافير الراحلة فوق مساحات الخضرة المنتشرة . . . ترعة ميتة تزحف من مكان مجهول ، تحفر الأرض المنسية تحت ساقية مهجورة . . مات خشبها فوق طوب أحمر . . ملأه السواد المتعطش لبقعة شمس مرمية . .

طار العصفوران متعبين مرمين على فضاء رحب يتسع لعشرات العصافير المصاحبة لهواء النسيم المسروق فى غيبة الحر عن الوادى . .

مال العصفور على العصفور وغرد بتغريدة التغريبة المهاجرة . . انحدر التغريد إلى قافلة العصافير . . فانطلقت التغاريد المحشورة بحنجرة جائعة وبطن خاوية طوال نهار مضى . .

عزفت العصافير تغريدة التغريبة وداست الدموع المعصورة خدّى العصفور . . زقزق مقترحاً الهبوط إلى الحقول المرمية . . يلتقطون الحبت وينامون بين أغصان الشجر ويسبحون على وجه الماء ويختلسون قطرات من الماء . . ويتقيلون ويتمطّون كعهد عصافير الزمن الماضى . .

انطلقت الزقزقات المحذرة من أصحاب الحقول الذين ينتشرون على رؤ وسها وفى قلب الأغصان وبين الزروع . . أشارت الأجنحة إلى هذا الرجل بملابسه الزرقاء الممزقة وهذا الفلاح النحيف المتصلب فوق أرضه وابنه الصغير الذى يقف مبتعداً عنه منتظراً قدوم العصافير لاغتيالها . .

استدار العصفور بجناحيه للعصافير المتأملة فى أرجاء الحقول والحزن يشطر المعدات الخاوية . .

زقزق العصفور . . لنهبط . .

اشتد لغط الزقزقات المختلطة المحتجة . . هل تريد موت الصغار . . وإصابة الكبار . . وفرار أصحاب الهيبة والكرامة منا أمام الفلاحين وأبنائهم النحاف ؟ .

مزقت زقزقة العصفور الصخب المتقهقر . .

ــ منذ سنوات والعصافير تمر على هذه الحقول . . ومنذ سنوات وهى ترى هذا الفلاح وابنه والرجل الواقف على رأس الحقل نفس الوقفة واللفتة والثياب الممزقة . . وكلما مررنا عليها خفنا وارتعدت أجنحتنا . . ليس معقولاً أن يظل هؤلاء مأسورين فى الحقل متربصين بنا . . . لابد أن فى الأمر خدعة . .

جاءت زقزقة خلفية .

ــ هذا حديث عصفور طائش . . منذ سنوات والعصافير الكبيرة تقود القافلة . . وتأمر بالهبوط والرحيل ولم يحدث مرة واحدة أن تهور طائش وقرر النزول هنا ، إن العقلاء وحدهم يعلمون جريرة هذا الخطأ القاتل . . إنه يعنى موتنا جميعاً . .

لكن العصفور أصرّ . . طاف بأصدقائه وأحبابه وخلانه من العصافير . . اجتمع بالشباب منهم . . وحاور أصحاب السن والوقار . . وفى كل جولة كانت زقزقة خلفية تحذر وتنذر وتفض الجموع . .

وقف العصفور بين العصافير ، وغرد تغريدة عرس العصافير . . وفرد جناحيه واستدار فى الهواء ومال على جناحه الأيسر ثم انطلق فوق النسيم الراحل . . وشق الفضاء نحو الحقول الخضراء . .

لما اقترب العصفور من الفلاح المغروس بالأرض . . عبث الخوف فى صدره فأكمل دورته فى الهواء المحيط بالفلاح . . ولما اقترب من ابنه الصغير ألقى الشك بريشة فى صدره . . فتمهل وتأمل . . ثم التف بجناحيه نحو الفلاح وابنه .

لمح الرجل الواقف فى رأس الحقل . . فالتمس النسمات القادمة وانطلق نحو الفلاح . . دنا منه فاكتشف العصا المثبته بالأرض والقماش البالى الملتف حول ذراعى العصا المربوطين بخيوط محلولة . .

زقزق العصفور وغرد . . ووقف برجليه على رأس العصا . . أخذ ينقر أطراف القماش وهو يضج ضحكاً .

القاهرة : إبراهيم عيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سمير يوسف حكيم

قصة

سباق المنعطفات

تقابلنا على غير موعد . . . أتوقف ، أطل برأسه من خلف زجاج الفيميه ؛ لمحت على شفتيه نصف ابتسامة غامضة إبتلعت مرارة حزنى متأبيا أن أفصح له عما يجيش بصدرى

ـ كيف حالك ؟ . . تبدو على ما يرام .

ـ أطرقت برأسى : فى خير حال .

أدرك بذكائه الفطرى محاولتى الناجحة فى صنع لا مبالاة زائفة اتسعت هذه المرة مساحة الابتسامة .

مضت سنوات قبل أن أراه ثانية فى ثوبه الجديد ، عاد بغير سابق إنذار مثلما اختفى عن الأنظار فجأة .

عبد المتعال عرف كيف يقبض بكفه العريضة على أحلامه الجريئة ولم يدعها تفلت منه . جمع المال والصيت . . الأفاقون أيضا صنعوا حوله دائرة كان هو محورها ؛ تحت قدميه فرشوا ظلالهم ، فى الاتجاهات الأربعة انتشروا .

أشعل سيجاراً مغلفاً وأردف : ـ ما رأيك ؟ . . . مشيراً بإصبعه إلى الجسم الحديدى الأملس . . . ألا تبدو مثيرة للنظر . . لكنها كلفتنى الكثير .

فى سباق المنعطفات كل الوسائل متاحة بغرض الوصول قبل الآخرين . . عبد المتعال وصل سريعاً ملقياً خلف ظهره بالمبادى القديمة تطحنها عجلات السيارات على قارعة الطريق .

لا يعلم غير الله مصدر هذه الثروة ، لم يسأل أحد من أهل الحى ـ من أين له بهذا ؟

ابتدره الجميع بنفس عبارات التملق :

ـ شرف كبير لمن تضع يدك فى يده

ووضعت يدك على حلمى الأوحد وانتزعته من بين الضلوع . . كم دفعت . . ، . . بالعملة الصعبة . . ، سلموها لك مقابل دولارات كثيرة وشقة فاخرة فى عمارتك المطلة على النيل ووافقت طائعة ، أسيرة لبريق الذهب . . سامحها الله وعفا عن ذنبها الكبير .

قال بهدوء شديد ـ لعلك وفقت فى العثور على بنت الحلال ؟ .

ـ آه . . طبعاً .

ظللت موظفاً مغموراً فى الدرجة السادسة إلى أن شاب شعر الرأس قبل الأوان يحملك مرتب الوظيفة على العيش بالكفاف . . لا قدرة لك على تحمل نفقات الزواج ومسؤولياته ، آثرت الانتظار وشاب انتظارك على الفراش وحيداً مسهداً فى ليالى الشتاء القاسية ترافقك أحزانك المتورمة فى الصدر ، تتناهى لمسمعك كلماتهم من خلف الجدران سلاماً مسنوناً يفتح جروحاً أخرى فى القلب المقهور :

ـ مقطوع من شجرة . . لا عيّل ولا تيّل .

ماذا بيدك تفعله وأنت المغلوب على أمرك ؟ مع كل شروق تهرول إلى المرآة تفتش عن خصلة شعر بيضاء جديدة نبتت فى الرأس لتقتلع من أحشائك بقية أمل فى غد يأتى حاملاً على راحتيه الأمانى المتمردة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لوّح لى بيده تاركا نفس الابتسامة الغامضة تسبح فوق شفتيه ، بادلته مثلها قبل أن تختفى سيارته الفارهة عن بصرى . . أثارت زوبعة من التراب تجمعت فى عينى ، حالت دون أن أتبين السرعة التى كان يسير عليها عبد المتعال .

الاسكندرية : سمير يوسف حكيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سامر نديم العطعوط

قصة

تأريخ حالة

* يوم مختلف .

اتضحت تفاصيل غرفته شبه العارية مع أول خيوط الفجر التى اقتحمتها ، تستغرب أحيانا أنك لم تتعرف إلى بعض التفاصيل الصغيرة رغم معايشتك لها ردحا طويلا من الزمن . هو صباح مختلف إذن ! . هل تُراها أضاءته المغايرة ؟ أم هو الوقت الطبيعى الذى يستغرقه أى منا فى التعرف إلى جزئياته ؟ أم هى هذه الحركة الغريبة التى تصاحب صحوة هذا الصباح ؟ يتقلب فى فراشه وكأنها محاولة للتفلت مما يعيق تنفسه ، يتصبب العرق من جسده . تخاله يأخذ شكل غرفته ، حيث لا ستارة تحميها من ضوء الصباح الباكر ، والفوضى تصبح وصفا ملازما لها ، الفراش على الأرض ، بعض من الملابس وكثير من الكتب والأوراق تتناثر هنا وهناك . خارطة فلسطين تغطى الجزء الأكبر من الواجهة الصغيرة . فعل الصحو يبدأ لديه بطيئا ، يفتح عينيه قليلا ثم يعود إلى اغماضته السابقة ، تصدر عنه أصوات ملتبسة غير مفهومة (قزم ، مرآة ، عمالقة ، هزيمة ، مناشير ، طائرات) ، تبدو هذيانا متصلا . هل تراه فجرُه الطبيعى ، وهل يصحو دوما على تلك الأصوات وذلك الضوء الصباحى ؟ هذا . يتحسس جسدا/بقايا جسد ، يود لو يطمئن إلى أن تفاصيله تشبه تلك التى غادرها عند بداية الليل . يرتجف قليلا ، برودة تحيط أجواء الغرفة ، يتطلع من حوله ، ثم يعود إلى جسده ، يتخذ وضعا متحفزا فى الفراش ، يغادره دحرجة ثم يتجه إلى حيث المرآة بسرعة ليتثبت مما هو حقيقة وما هو حلم .

استلقى على أريكة العيادة يتحدث عن تلك الليلة وذلك الحلم الذى صاحبها (أمامى مرآة فى زاوية منها قزم ضيئل يتحدث عن نبوءة ، سوف تكبر ، ثم تصغر ثم تصغر حتى تعود قزماً ، وهاك تعود) . عاود سرد أحداث الحلم مرة إثر مرة ، يرتجف تارة ، يتلعثم أخرى ، يقفز بين الكلمات ، ثم يتهاوى ، يمسك رأسه بين كفيه وقد بانت على وجهه أمارات التعب . كانت حالته هى الأولى فى حياتى المهنية التى استطاعت أن تجتذبنى إلى حدود التعايش بعيدا عن المراقبة والتحليل . تلك الانفعالات الحقيقية ، ذلك القلق ، وتلك الحاجة إلى فهم ما يحدث له ، ثم تميزه عن الآخرين بثقافته الواسعة وخصوصا فى مجالات علم النفس ، كل ذلك كان يسهم فى انتزاع سمات الطبيب عنى ويعطينى لبوس الحالة ذاتها .

* أيام متتابعة .

قفز إلى صدارة اهتماماتى فيما أعالج من حالات ، فتكرار ذلك الحلم كل ليلة بإضافة جديدة ، والتأثير الذى بدا واضحا على وجهه ونحول جسده حتّنى إلى محاولة إخراجه من الأزمة بأسرع وقت ممكن . ولكن ، لما باءت كل محاولاتى بالفشل تزعزعت ثقتى بقدراتى المهنية وتصورى للحالة ، بدأت أفكر جادا فى عرضه على طبيب آخر قبل فوات الأوان . فالمسألة لم تقف عند حدود الحلم . كان يقلقنى بالأخص ذلك الوقت الذى يستغرقه فى فعل الصحو ذاته ، والذى كان يزداد تدريجا ، وكل يوم كان يعنى وقتا إضافيا ، واحتمالا أقوى لخسارته نهائيا.

* اليوم الأخير .

طرق صاخب على الباب ، وصراخ يخرجنى من سريرى مدفوعا بالغضب لهذه الضوضاء غير المحتملة فى ساعة مبكرة من الصباح . اندفعت باتجاه الباب لأبلغ الطارق كل الاحتجاجات التى ملأت صدرى . وفتحته فاذا بالممر خالٍ بحثت عن اليمين وعن الشمال ، ولا أثر لأحد . وحين هممت بإغلاق الباب ، أحسست بشىء ما يتعلق فى بنطالى ، يشده إلى أسفل لافتا اليه انتباهى ، حدّقت آدمى صغير لا يتعدى عشرة سنتيميرات من الطول يتوجه للداخل بعدما أدرك انتباهى اليه . أغلقت الباب خلفى وأنا أترنّح غير قادر على التماسك . تهالكت على مقعد قريب وما زلت أظننى أهذى . فتحت عينى بتثاقل من يبحث عن حقيقة يتمناها غير موجودة ، فاذا به يتعلق بى صامتا مدركا حاجتى إلى بعض من الوقت لأستجمع وعيى المنفلت للحظات . نظرت إليه وقد استطال وجهى علامة استفهام ومفاجأة تستحثه على الحديث (صحوت اليوم كالعادة ، ولكن شيئا لم يحدث ، فى المرآه كانت صورتى قزم يتحدث عن نبوءة قد تحققت ، وها أنذا . . .) بدت علائم البكاء واضحة على وجهه وتهدج صوته ، رفعته بين كفى حتى يكون أقرب إلى عينى . مفاجأة أخرى ! تلعثمت ولم أتمالك فصرخت من هول تلك الصورة . أحسست بأن هوة سحيقة قد ابتلعت فى لحظة واحدة كل منطقى العلمى وتراثى الأكاديمى ، واكتشفت بأنى أنظر إليه مواجهة للمرة الأولى منذ بدأت علاجه . له لحية كثة كلحيتى ، وهذان العينان ليستا غريبتين عنى ، يا إلهى ! إنهما عيناى ! ارتجافة شفتيه تشبه ارتجافتى . . هل ترانى أحلمنى قزما ؟

أفقت وأنا مستلق على سريرى ، أرتجف بقوة ، مغمض العينين ، هو حلم إذن (!) برودة تسرى فى عروقى ، أمسح جبهتى ، أنهض متثاقلا ، أفتح عينى والإرهاق يتملكنى ، ما هذا ، هل هو الحلم ثانية ؟! ما لسريرى يبدو ضخما ، ولماذا تبدو غرفتى كما لم تبد من قبل ؟ لابد أنه الحلم مرة أخرى ! نهضت بسرعة ، تدحرجت عن سريرى متعلقا بالغطاء ، وتوجهت إلى المرآة ، هنالك صورتى تحتل زاوية منها ، ما لمرآتى تبدو عملاقة ؟! وصورتى القزمة تتحدث عن نبوءة (سوف تكبر ، ثم تصغر حتى تعود قزما ، وهاك تعود) .

أسرعت خارج غرفتى ، كل الأشياء تأخذ أحجاما ضخمة ، ركضت بتجاه الباب ، تسللت من بين الشقوق ، أسرعت إلى الرصيف متعلقا بأرجل المارة من عمالقة وكلهم عمالقة ، تستطيل وجوههم علامات استفهام ، لم أدرِ لحجمى الصغير أم لتعلقى بأقدامهم !

* بعد سنوات : لحظة الكتابة .

لمن لا يعرف ، ها أنذا فى مستشفى للأمراض العصبية ، يقولون بأن حالتى تختلف عن الآخرين . وأنا لا أصدق ، يقولون بان ما أعانيه يوصف طبيا بأزمة الشكل ، بأنى ولدت من أب وأم قزمين وجدود أقزام أيضا ، وذات يوم ، ولسبب لم يستطيعوا تحديده بعد ، خيّل إلى أنى كنت عملاقا يوما ما ، وهذا التخيّل هو الذى أدى بى إلى الحالة التى أعيش . أحاول أن أتذكر ، لكن تختلط الأمور على ، فهل كنت عملاقا ذات يوم ؟ وإن كان الأمر كذلك ، فما الذى حولنى إلى قزم ؟ هل هم صادقون وذاكرتى لا تعدو محض أوهام ، أم أننى تحولت فى عصر التحولات إلى قزم ؟ أودّ لو أعرف !

كتبت هذه التجربة الخاصة وعرضتها عليكم ، برجاء خاص منكم ، من كان يعرف عائلتى سابقا ، أرجوه أن يتقدم ويوضح لى ، هل أنا قزم بداية ، أم عملاق تهاوى ؟

ثم هذه نصيحة لكم ، انظروا فى المرآة نظرة طويلة كل صباح إلى حقيقتكم (!)

الرياض : سامر نديم العطموط

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد عبد الله الهادى

قصة

الليل وما وسق

أصخت السمع . . خطوات ثقيلة منتظمة غير معتادة على درجات السلم الخارجى فى صمت الليل البارد ، انتهت ، توقفت عند عتبة الباب تماماً . حدثتنى نفسى متسائلة ترى من هو ؟!

كانت الساعة تقترب من العاشرة ، بدت الشوارع ساكنة فى ليل الشتاء الثقيل ، كنت أهيىء نفسى للفراش بعدما انتهيت من عدة أمور معتادة . فلقد تناولت طعام العشاء مع زوجتى ، خبز وجبن أبيض ثم حسوت كوباً من الشاى واكتفت هى بنصف كوب من اللبن وخلفتنى ألوك الطعام ببطء وأزدرده بصعوبة وأرشف الشاى بصوت واضح مطّت أصابعها وتمطقت وتثاءبت ولم تخف ثؤابها بكفها وهى تدلف فى بطن البطانية . نامت بسرعة ، لم أستطع متابعة المسلسل السخيف ، اقتحمت مخيلتى أفكار رمادية لمشاكل وظيفية ومادية متشابكة ، تصفحت الصحيفة مرة أخرى : « رفع بداية المربوط والنظر فى هيكل الأجور ، زيادة متوقعة فى الأجور » اتهمكت فى حل الكلمات المتقاطعة علّ النوم يهاجمنى ، ظللت حائراً أمام كلمة رأسية من خمسة حروف بمعنى يقض المضاجع ليلاً . .

لحظتئذ سمعت طرقا على الباب . . ثلاث دقات متتالية منتظمة ، أدركت أن الطارق ليس بغريب . فتحت الباب متوجساً :

ــ مساء الخير .

بادرنى بصوته الأجش العميق ، لم أستطع تبيان ملمحه بوضوح تحت الضوء الهش لمصباح الدرَج . أدركت لأول وهلة ضخامة هيكله الجسمانى العملاق انتزعنى من لجة حيرتى لما تساءل :

ــ أأنت السيد افندى محمود الموظف ؟ .

أومأت برأسى علامة الايجاب

ــ جئتك برسالة تحمل أمراً هاماً .

فقلت له أدعوه للدخول :

ــ تفضل ياسيدى .

ولم أكن أتوقع زيارة فى هذا الوقت المتأخر من ليل الشتاء . كان الطقس بارداً والهواء المشبع بالرطوبة ساكناً . كان الزائر يتدثر ــ بامتلاء جسمه ــ بمعطف داكن اللون . تذكرت أنه لم يصافحنى فلقد كان يدس كفيه فى جيبى معطفه ومازال ، النوم الذى دعوته ليرفرف بأجنحته حول رأسى فرَّطائرا . لسعتنى البرودة وأنا أقلب صفحات رأسى باحثاً فيها عن ماهية زائر الليل هذا ! باءت محاولتى بالفشل رغم يقينى الصادق بأنى أطالع هذا الوجه وأراه كل مساء . حدقت فى وجهه ، التقت عيناى بعينيه ، أدرت وجهى وأبعدت ناظرى ، كانت عيناه واسعتين ، لا يشى وجهه بتعبير ما سوى ذلك القناع الصارم الذى يطالعك بين الدوسيهات فى الأرشيف وفى الحجرات العتيقة للمصالح الحكومية ولا أدرى ماذا يخفى خلفه ؟ .

أخرجت علبة سجائرى ، قدمت له لفافة ، تبينت الخطوط على صفحة وجهه المغضن ، كأنه تجاوز بعمره عشرات

الأعوام . ربما ! أرى هذا فى لحيته الكثة وشعر رأسه الطويل المهوش ، اعتذر عن التدخين وكنت أتمنى أن يعتذر عن إقلاقى فى هذه الساعة ، لم يخرج كفيه من جيبى معطفه . وسدت ذراعى على مسند المقعد وقلت له مرحباً ! أحسست بالكلمة بين شفتى بلا مدلول سوى رنينها الهلامى فى هذا السكون المشبع بالرطوبة . أى رسالة تلك التى يحملها لى ؟ أى أمر مهم هذا الذى جاء به ؟ بدأت علامات الاستفهام تكبر رويداً فى رأسى ولا أعرف لماذا كنت مرتبكاً بلا قصد . وقفت جوار المقعد قلت له وهو يشملنى بنظرته :

ـ الطقس بارد ، أليس كذلك ؟

كنت تواقا لكسر حدة الصمت والتوجس بإجابة حميمة منه لكنه لم يفعل ، أومأ برأسه فقط ، لم يتكلم ، لم يخرج كفيه ، فقلت وكأنى أخاطب نفسى بوجل :

ـ لنشرب شاياً ساخناً . . الأفضل أن نحتسى الشاى الآن .

وعندئذ كنت أفكر فى ايقاظ زوجتى لتصنع الشاى عدلت لأنى أعرف أن « الطبل البلدى » لن يحرك منها الآن ساكنا . لكنه هز رأسه بتؤده رافضاً ولمحت لأول مرة أنه كان يهز قدميه هزات متتالية مستفزة متوترة رتيبة .

وكما جاء بغير توقع هب فجأة واقفاً فوقفت أمامه . أخرج كفه من جيب معطفه قابضاً على رسالة مطوية . تنفست الصعداء وهو يضعها على المنضدة . فى صمت .

مضى ناحية الباب . أردت سؤاله . مات السؤال فى حلقى ، خرج فناديته :

ـ سيدى ، سيدى ! انتظر من فضلك . لم تدخن أو تشرب شاياً ، لم تقل شيئاً . .

سيدى . . سيدى . .

كان مسرعاً وأنا أخطو وراء على الدرج . . . الشارع المظلم البارد . مضى ذائباً فى ظلمة الليل .

عدت وقد استبدت بى الهواجس ، اضطربت أفكارى . وفى الحجرة عدت أبحث عن الرسالة المطوية . لم أجدها فوق المنضدة . بحثت عنها على المقاعد ، أسفلها ، فى الأركان ، فحصت الغرفة رأساً على عقب ومضت ساعات من البحث دون جدوى .

لم أعثر عليها وقد اختفت تماماً . مضيت مهموماً للفراش . هززت زوجتى علّها تستيقظ وتشاركنى المسألة . استدارت على جنبها الآخر وهى تزوم بكلمات مبهمة .

*

لما أطل ضوء الفجر الفضى من خصاص النافذة تبينت أنى قضيت الليل بطوله فاتحاً عينى أحدق فى لاشىء تحت وهج المصباح ، فلقد اعتاد القلق أن يزورنى كل ليلة .

محمد عبد الله الهادى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد الناصر حنفى صادق

قصة

أوراد العنقاء

(١)

حين رآه للمرة الأولى . . كان صغيرا إلى الحد الذى لا يثير أى ذكريات ، ورغم تكرار هذه الرؤية لم تكد أبدا تتحول إلى حدثٍ معتاد ، وظل هناك دائما فى داخلهِ سياجٌ من الألفة القوية يطبعها بتيارٍ متدفقٍ من التوهج . وكان صغيرا حين كان يعبر أزقة المدينة وشوارعها إلى طرفها الأقصى ، وهناك حيث القصر . . كان يقف . . يرنو إلى العملاق ، يدور حوله ، ينفى تشقّقات أقدامه مما يعلقُ بها من رمال ، يديرُ ظهرهُ للقصر ويتمدّدُ مرتكزا بنصفهِ العلوى على العملاق ، ويتأمّل الحركة الهادئة فيما بين البيوت القديمة ، تنساب فى الممرات الضيقة ، وتصلهُ الأصوات خافتةً يختلطُ بعضها ببعض وتتناغم مع حفيف الهواء فى هدوءٍ رائق .

وحينما كانت الشمس تتخطى القصر ثم تتعامد فوق العملاق تماما ، تمحو عنه ظلّهُ ، حينئذٍ كان الصغير يهبط منحدرا من التل إلى المدينة .

(٢)

وحين ذهب الصبى إلى كُتّابِ المدينة . . كان يتخذ موضعه بحيث يستطيع رؤية العملاق الذى كان يبدو نصفه العلوى يعلو جدار الكتاب ، وكان حين يصفو يخطّط فوق لوحه الإردوازى ، ويحاول رسم العملاق ، وعندما لعن الشيخ أحد الصبية الكبار . . احتج عليه ، فصرخ به : « اذهب فأنت والمسخ العملاق سواء » . . فتشبثت أصابع الصبى بالإردواز فيما تساءل صبى آخر عن « المسخ » ، فضجّ الجميع بالضحك ، وعندما نهرهم الشيخ فى غضب كان الصبى وحده الذى لمح تغيّر صفاء عينى العجوز وميلها إلى الاحمرار ؛ وعندما هدأ الصبيةُ لبث الشيخُ ساكنا برهة وقد ثبت محجرُ عينيهِ على مشهدٍ ما وفجأة رفع يدهُ وأشار بها إلى ما وراءهم . . فتلفّت الصبيةُ فى بطء حتى ارتطمت نظراتهم بالعملاق الجاثم فوق الربوة تمتم الشيخُ فى خفوت : « إنه ليس مجرد تمثال كما يقول الزنادقة » ثُمّ ارتفع صوتهُ قليلا : « فى زمن مرّ كان يعيش ، شابا وكان قويا وشجاعا . . لم يعرف أحدٌ أبدا فيم ينظر حين يصمت ، ولا أين يغيب حين يغيب » دهش الصبيةُ من التغيّر الذى طرأ على الشيخ الذى واصل قوله : « ويوم اشتد إحساسُ الناس بالجو واشتعلوا بالثورة ، لم يجرؤ أحدُهُم على اقتحام القصر ، وحينذاك تقدّم هو . . والكل ينظر . . وقبل أن يصل إلى الأسوار جمد فى موضعه الذى ترونهُ فيه وأخذ يتضخّمُ رويدا . . رويدا » . . وحين صمت الشيخ انبعث صخبُ الصبية فجأة . . وكان كلٌ منهم يستزيد جاره من الحكاية أو يزيدهُ بما سمعه منها قبلا ، ولكنّهُ ظلّ صامتا ، حتى أزّتْ عصا الشيخ فعاد الهدوء .

(٣)

فى الصباح التالى . . ارتقى الصبى التلّ مع شروق الشمس ، وحدّق فى وجه العملاق الذى انعكست عنه خيوط الشمس الأولى فلمعت قطراتُ الندى المتكاثفة بين قسمات

الوجه . ورفع صوته إلى أقصى حد استطاعه « هل أنت إنسان كما يقول الشيخ . . ؟ أم أنت ؟ . أجنبى : هل أنت ما يقولونه عنك ؟ » وكان مروق نسمات الصباح الباردة بين فروع أشجار القصر يأتى الآن إلى أذن الصبى كأنين خافت ، ولكنه لم ينصت . وحتى انحبس صوتُهُ تماما كان يجتاح صدره الصغير غضبٌ عارم ، فراح يلقى الأحجار . . يطوحها عاليا إلى الوجه الحجرى فتنزلق عنه بيسر إلى الأرض . وحين انخرط الصبى فى البكاء وجد نفسه بين ذراعى والدهِ . . الذى انتزعه من مكانهِ وسار بهِ . . فاستكان الصبى إليه ، وحول الوالدُ وجهَهُ بعيدا وقال بحزن لم يستطيع إخفاءهُ : « لمَ لا تبتعد عنه ؟ هل تريد أن تصيبك اللعنة ؟ » لكن الصبى قال باستفزازٍ غير معهود : « وما اللعنة ؟ » ثم أضاف بأسى : « هل هى ما يُقال عنه ؟ » فتلفّت الوالد حوله وحين لاحظ خواء الطريق . . أرسل زفرةً طويلة . . قال : « يُقال إن هذا العملاق مطموس بطلسم ساحر قضى عليه أن يتفرّق زمنُه إلى لحظاتٍ . . فتمرّ به لحظة . . لحظة . . وكل منها لا يكفى سوى أن يعى نفسه ، وما إن يفعل حتى تنتهى لتبدأ أخرى جديدة . » وقال الوالد « وما تزال إلى الآن بعينيهِ حياة » . وفيما بعد كان الصبى ــ ولسنوات تالية ــ يلمح دوما مع كل مشرق حركة منتظمة تختلج بها العين . . ولم تكن الحركة تتغير أبدا . . وقال الوالد « وهو يوما سيعود . . يقتنص إلى اللحظة أُخرىَ وأخرْى . . فيدب الجسدُ الحجرىّ بالحياة ولكنه يظلّ عملاقا فيقتحم القصر . . بلا عناء » . وكان الصبى ما زال يرقب اختلاجة العين التى لم يرها ــ فيما بعد ــ تسكنُ أبدا .

(٤)

وحين عبر الصبى دوائر حياته المرسومة وخاض فى الشباب ، كان الأمل لما يراوده فى عودة العملاق ، وكان يتمنى أن يراهُ حينذاك وأن يعرفه . وحين كان يتحلق ورفاقهُ حول نيران الشتاء . . ويدور دفء الأحاديث ، كان الشابُ يحوّلُ الدفةَ دائما . . أن العملاق سيعود . . وسيجلبُ كلّ الخير . وذات يوم هزّ أحد الرفاق رأسه فى عزْمٍ قائلا : « هو مسخ . . لا مزيد ! » فجفل الشاب . . لكن الآخر انبرى يقول إنه علم أن العملاق كان مبعوث عناية . . وأنه كُلّفَ بقهر الظلم ولهذا وهب القوة . . لكنه حين هم باقتحام القصر . . ذهبَ بلُبّه البريقُ المتنامى منه . . فنسى هدفه . . فحلّتْ عليه اللعنة . . وأنه تضخّم حتى يراهُ الناسُ جميعا من أى مكان يلبثون فيه . . حتى لا ينسوا . . . هزَّ الشاب رأسه فى عنفٍ . . لكن رفيقا آخرَ قال بحدة « بين المدينة والقصر يقف العملاق . ولكن أحدكم لم يفكر أبدا أن ينظر إلى عينيه . . فداخل تجويف رأسه يقبع حُرّاسٌ يرقبون المدينة . . ويرقبون كلَّ الطرقِ المفضيةِ إليها . . حيث تظهر أقلّ الحركات المريبة بوضوح فتنتقل على الفور إلى القصر » فهزّ الشاب رأسه فى عنفٍ وقال : « ومن أين لك أن تعلم بهذا ؟ » فقال الآخرُ : « إن أبى يعملُ فى القصر . . وقد أخبرنى بما خفى عنكم » وانخرط الرفاقُ فى جدالٍ حاد . . فعاد الشابُ الأول يقولُ فى تأكيد : « إذن فليخبرنى أحدُكم . . لماذا وُهِبَ القوة . . ولمَ كان الصمت يعروه دوما كما نسمع ، وأين كان يذهب حين يغيب ؟ ثم فلينبئنى أحدكم . . لماذا ؟ لماذا تحق عليه اللعنة ؟ » وعند انتصافِ الليل . . كانت الجمرات المشتعلة تغرق رويدا رويدا بين ذرات رمادها المتكاثرة . . وكان الشاب يهزّ رأسه فى حيرةٍ حينما مضى عنهم بلا وداع . . وعند شروق الشمس لم يكن هناك . . ولم يره أحد بجوار المسخ كالعادة !

(٥)

مع غروب الشمس وحين كان الشاب يترقّب زوال صفرتها وانسحابها عن الجدار ، كان يتساءل « لماذا تحق اللعنة ؟ » وتفكر أن اللعنة تحق حتى يتحول الإنسان إلى عملاقٍ ينتظرهُ الناس . . ثم يتحول العملاق إلى إنسانٍ عملاق يمتلك الجبروت فيؤدى دوره فى يسر . ولكن حين تناهت إليه أصواتُ الهمسات الليلية لنقيق الضفادع وحفيف أوراق الشجر ووقع أقدامٍ وحيدة تذرع الطريق . . عاد ليتفكر ثانية فى جدوى هذه الدورة . . إن كان حقا مبعوث عناية . وإن كان منذ البداية قد وُهِبَ القوة . .

وفى كل صباح كان يتطلع من نافذته إلى المسخ بحيرةٍ بادية وكان يتخايل لعينيه المسهدة بالأرق أن المسخ يكاد يتحرك . . ويكاد يومىء . . وتساءل الشاب هل كان الحراسُ بالفعل يقبعون الآن خلف عين المسخ . . وعما إذا كانوا يراقبونه ؟ وعندما اعتل جسدهُ ومرض . . حزن والده . . فسأله الشاب « لماذا تحق اللعنة ؟ » فقال « لتحق العودة » فأدار رأسه ببطء وأغلق عينيه . . . . . .

وجاء شيخُ الكتاب العجوز متوكئا على عصاه . . قرع بها الأرض بقوةٍ ثم وقف ينتظر . . وحين استفاق الشاب سأله : « لماذا تتساءل عن اللعنة . . أيها الأخرق ؟ » فقال الشاب : « ولماذا تحق اللعنة ؟ »

ــ كثيرون غيرك تساءلوا وعرفوا . . ولكن لا جدوى . . وما تسأل عنه يعرفه الكل . . ولكن لا يعيه أحد .

ــ « حتى أنت » ؟

ــ « كنتُ هناك مثل الجميع . . لكنى أتذكر أحيانا ..

يردّنى تساؤ ل الدهشة والألم فى عيون الصغار فأتذ كر . . لكننى كنت هناك . . كان ذلك منذ زمان . . حين تعلقنا بسفح الربوة كان هديرنُا قد طغى داخلنا على كل ما عداه . . لكنـا وقفنا بسفح الربوة . . وكنت صغيرا . . وحين همّ العملاق باقتحام القصـر . . كان النـاسُ يديـرون أبصارهم ويتمنـون لو أنـه لا يستطيع . . وتمنوا لو أن القصـر لا يُقْتحم أبدا كـما كانـوا يعتقدون . . تمنوا ألا تـذهب الآلام التى احتملوها لتتكشّف عن محض غفلةٍ أو ضعف . وفى ذاك الحين . . لم يكن العملاق لديهم مبعوث عنايةٍ ما . . فتمنوا أكثر ألا يقتحم القصر مجرد رجل فرد . . » قال الشاب : « وهم الآن ينتظرون . . »

ـ « أجل . . هم الآن . . فقط ينتظرون »

(٦)

فى الليل عاد الشاب إلى ارتقاء التل وعاد يرنو إلى المسخ . . إلى العملاق . فمسح عن ساقيه الندى . . ونظر إلى العينين فأدرك أن ثمة دموعاً تنحدر الآن إليه . . فقال « قد قـدر أن اللحـظة لا تُثْـلى إلا بـأخـرى . . وأنـه ليس ثمـة اجتمـاع للحظتين » . .

وقـد قدر أن لحـظة واحدةً لم تكن كـافيةً أبـدا » ، وربّت الشاب على ساقى العملاق فى حنو بالغ . . » ربما كان ما يزال باستطاعتنا اقتناص لحظةٍ ما إلى أخرى » . . وصمت برهة ثم أردف فى تصميم « فى الصباح نقتحم القصر سويا . . سويا » وعند استفاقة المدينة وتقاطرها إلى الطرقات . . رآه الناس يتخذ مكانه بجوار العملاق ويتحفـز . . فوقفـوا مبهوتـين . وكان الشـاب يواجههم . . يقـول : « سـأقتحم القصـر . . وهـو سيعـود . . « وكان يشـير إلى العملاق . . واستـدار وتـأهب فاستدار الناسُ بأبصارهم . . وتمنّوْا . . . ، وكان هو الآن يعى أنه يجب المضى نحو القصر ، ثم كان الآن يعى أنه يجب المضى نحـو القصر ، ولم يكن يـدرى أنـه الآن يتعملق رويـدا . . رويـدا . . رويدا . . ، وكـان الناس ينـظرون . . . ، وبين أقدامهم كان ثمة صبى ، وكان صغيرا . . . . وكان الآن ينظر إلى المسخين !

عبد الناصر حنفى صادق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طـــه محمـــود مقـــلد

قصـــــة الفـــــــــــخ

رفع رأسه فوجدهم أمامه . . وجوههم متماوجة الملامح . . انقبض صدره . وتكدر صفوه . حدجهم بنظرة قلقة ولم ينبس بكلمة . جعلت عيناه تدوران فى جميع الانحاء تتفرس الوجوه الغاضبة . . كاد يتجمد قلبه من الخوف . زوى ما بين حاجبيه باحثاً فى ذاكرته عن مخرج . تفكر مليا . حاول أن يستعيد رابطة جأشه . . رسم على شفتيه ابتسامة لا معنى لها . قال وهو يزدرد ريقه :

ـ كنت سآتى إليكم .

استدار كبيرهم وواجهه ـ ولأول مرة منذ افترقا يتواجهان ـ فتراءى له التماع عينى كبيرهم يتسع فى الظلام فانطفأ بريق عينيه . . قال بصوت كسير :

ـ حقوقكم محفوظة .

تلاقت عيونهم فى نظرة سريعة . . ثم علقت جميعها بوجهه المكفهر ، نشف الدم فى عروقه . . سكت لحظة وعيناه لا تفارقان وجوههم المتجهمة ثم قال بصوت مذبذب :

ـ دواعى الأمن حالت بينى وبين الحضور فى الموعد المحدد .

كانت عيناه مازالتا عالقتين بوجوههم . . راعه أن تظل الأفواه صامتة والحواجب مقطبة والعيون ترسل شهبا . . استشعر خطرا محققا . . جال بعينيه فيما حوله ، لم يجد سوى الصمت والليل والوجوه الغاضبة رنا ببصره إلى السماء . . ألفاها ملبدة بالغيوم . . وفجأة ومضت فى رأسه فكرة وعدته بالخلاص . . قال لنفسه : سأراوغهم بالكلام ثم أزوغ منهم فى الحقول . . قال بصوت أبان عن مدى خوفه ويأسه :

ـ ياجماعة صدقونى ! .

قالها وهو يتململ للتأكد من مدى قوة احتمال قدميه . . رمقه كبيرهم بنظرة مستطيرة ، جعلته ينكمش داخل نفسه . . قال والرعب يسيطر على حواسه .

ـ أعلم أنكم جئتم لمحاكمتى .

انفجروا فى الضحك . . تعالت ضحكاتهم . وقف مشدوها . لم يدر ماذا يفعل . سايرهم فى الضحك . صمتوا فجأة . صمت هو الآخر . . ساد الصمت فترة ، خالها دهراً . . مسح المكان بعينين فزعتين . . يحاصره الصمت ، والليل ، والوجوه العابسة ، أحس بمدى ضعفه وعجزه . . فضحك . . ثم ضحك . . ثم ازدادضحكا . . حتى كاد يستلقى على قفاه ! . استحالت الضحكات إلى بكاء هستيرى . . أفاق من « كريزة » البكاء على صفعة قوية تردد صداها فى جوف الليل . . ثم أُعْقبت بركلة كبّته على الأرض ، حاول النهوض . . ارتفعت يد هوت على قفاه . . بقدمين واهنتين وعينين منكسرتين تقدم ناحية كبيرهم لاسترضائه . . بصق فى وجهه . أراد أن ينحنى على قدمى كبيرهم لعله . . أحس بشىء حاد يستقر فى أحشائه . .

حاول أن يصرخ . . . أن يتوسل . . . أن . . ويخفت صوته . . . يتلاشى . .

سنهوت ـ منيا القمح : طه محمود مقلد

الطوفان

نظر إلى الوجوه الماثلة أمامه على ضوء المصباح فوق الباب . . هؤلاء هم الرجال . . جالسون لا يشغلهم شيء سوى الضحكات والنكات .

لكن من فيهم المطلوب ؟ .

آه هذا هو . . يامرحباً بك . . اظهر لى هكذا . . نعم ، نعم . . املأ صدرك بالهواء وارفع الرأس لأعلى . . ارفع ضحكتك . . اجعل صوتك أقوى . . لا ـ لا ، لا تتوارى فأنا أريدك هكذا لبضع لحظات حتى أملّ العين منك . . بضع لحظات فقط ، فهى كل ما تبقى لك فى الحياة . . استعد ، اضحك ، املأ صدرك أكثر ارفع الرأس وابتسم ، اضحك اضحك اضحك . . . خذ .

الآن قد شفيت غليلى . . الآن أنا لا أدراك ، لكن أعرف ما حل بك ، أعرف نظرة الألم والخوف التى تنظرها الآن ، ورعشة الموت واضطراب الأنفاس وتثلج الأطراف وخفوت نبضات القلب . أعرف كل هذا . وأعرف أكثر كيف تحولت البسمة على شفتيك إلى أنين . كم بودّى أن أسمعك وأنت تصرخ وتطلب النجدة ممن لا يستطيعون أن ينقذوك . . لا شيء الآن يستطيع إنقاذك من الموت ، لا شيء ! فمت الآن ، عليك غضب الله والناس .

ـ نقسم بالله ياحضره الوكيل أن القاتل هو (محمد بن صابر أبو أحمد) .

ـ ياعمدة أنت رجل مسؤول ، زنْ كلامك جيدا أنت والرجال .

ـ نقسم بالله أن القاتل هو (محمد بن صابر أبو أحمد) .

ـ هذا محال ، محال . لقد كان فى معسكرات الجيش مسؤولا عن نوبة الحراسة فى تلك الليلة بالذات حتى الصباح .

هذا هو الحوار الذى لا أشك لحظة فى أنه سيدور بين القوم لا يهمّ ! . قولوا ما تشاؤون .

لكن حذار أن تتهمونى بشيء ،فليلتها كانت نوبتى فى الحراسة ، وقد قمت بها على خير وجه .

آه ياأمى . . لو لم تكن نظراتك نفاذة هكذا .

آه لو لم تصمتى ، آه لورويت لى ما كان . . . ما كنت فعلت ما فعلت ! .

لكنك دائماً هكذا تريدين وتأمرين بدون كلمات . بنظرة العين وحدها . فى أفراحك وفى أحزانك ياأماه . . لسانك نظرة العين ، وعلّى ان أنفذ ما تشائين .

نعم ياأمى ، يومها قدمْتُ بلباس الجيش ، مشوقاً إليك ، متلهفاً إلى لقيماتك الشهية ، وإلى نظراتك السعيدة الآمنة ، لكننى وجدت فى عينيك نظرات أخرى فيها حزن وانكسار . ماذا حدث ياأمى ؟ . لقد مات . . من الذى مات وكيف ؟ . من قتله ، أين ولماذا ؟ . نظرت إلى عينيك ، نظرت أكثر وأكثر ، كان فيهما أمر . . لكننى لم أردّ بلا أو نعم . . تركتك وتركت الدار وتركت كل شيء ، حتى الإجازة الممنوحة لى تركتها وعدت إلى المعسكر من جديد أفكر فى كل شيء .

كان لابد فى هذه اللحظات أن يصدر الأمر من داخلى أنا ،

لأول مرة فى حياتى ياأمى ــ ولعلها الأخيرة أيضا ــ كان لابد أن يصدر القرار من داخلى أنا ، لا من عينيك .

تساءلت . . ما الحل ؟ اضطربت ، ارتجفت . . ومن ظلمة الخوف تولد العزم . . وكان القرار .

اتفقت مع زميلى فى نوبة الحراسة أن يأخذ مكانى ، وفى عربة سريعة غادرت المعسكر ثم عدت إليه لأكمل النوبة حتى الصباح .

ماذا حدث وكيف ؟ . لا يعلم أحد ياأمّى حتى الآن ماذا حدث إلا هذا الزميل،ليلتها راقبت القاتل جيدا ، تمليت منه ، تشبعت ، واقتربت أكثر ، هتف الرجال . . من هناك ؟ أنا محمد بن صابر أبو أحمد . . . وانهال الرصاص على الرجل فى سرعة البرق .

جرى الرجال وحاولوا اللحاق بى ، كانت السيارة أسرع ، ورأيت ياأماه على البعد نظرات الامتنان فى عينيك ، سمعتك تضحكين وتتلقين العزاء فى نفس الآن .

ورأيت ياأماه على البعد أيضا وبدون أى حجاب . . رأيت صابر أبو أحمد ، أبى يشد على يدى ، لكنه كان عابسا ، لا أعرف لماذا ، ربما لأنه فى مستقره الآن يعرف أن الساقية لن تقف وأن طوفان الدماءلن يجف ، أو ربما هو خائف علىّ .

لا أعرف ياأماه ، فهل تعرفين ؟

تمـــت

الاسكندرية : حنان فتح الله على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محـــاسن عبد القـــادر

قصـــة

الأبـــــــــــــــواب

عاما واحدا . كما تحكمى لى أمى الطيبة ، كان عمرى حينما انتقلنا إلى بيتنا هذا . خرجت فى أول صباح فيه إلى الحديقة ، بخطى متمايلة وكأنها أولى الخطوات ، واتجهت إلى أزهار الحديقة وقطفتها جميعا ، وكنت أضع كل زهرة على الأرض أمام شجرتها حتى صنعت سياجا مغلقا من زهرات ملونة وقفت وسطها كملكة تحيطها حاشيتها ، وبدأت أدور نشوى .

وتقول أمى كان أول عقاب تلقيته فى هذا البيت ذلك الصباح الأول .

بهرنى بيتنا لسعته ، لحجراته الكثيرة ، لحديقته الكبيرة المليئة بأشجار ونباتات نادرة لا تنبت عادة فى جو مدينتى ، فمنذ أول آجرة وضعت فيه زرع أبى الشجرة الأولى .

صاحبت الببغاء الخضراء شجرة الجوز العالية وكانا يلتقيان كل صباح ، وانتظرت أمى بفارغ الصبر موسم ازدهار شجرة الهال ، وتسلق أطفال الجوار شجرة التوت الأحمر وقت الظهيرة ، وأحببت أنا « ملكة الليل » التى تنكفىء صامتة طيلة النهار وعندما يأتى الليل تستقبله كعاشقة تفوح منها رائحة الحب .

وأكثر ما كان يدهشنى أبواب البيت . أبواب تخترق جدران الحجرات ، لا حجرة بباب واحد ، لا حجرة منعزلة ، الواحدة تفتح على الأخرى . ينزلق خيال طفولتى فى تيه الحكايات عن قصور السلاطين والجن فوق السحاب ، والحجرات العشر والباب الممنوع .

فى وقت الظهيرة اعتاد كبار البيت أن ينالوا قسطا من النوم ، ويفرضوا نومهم علينا ، فقد كانت المراوح اليدوية الخوصية تنتظر مؤخرة العاصى ، ونتسلل ، ما أن تغفو أعينهم ، لنمرح فى الحديقة أو لنركض بين الحجرات ، نختفى وراء أبوابها فى لعبة الشرطى والحرامى ، أو نعبث بها كأرجوحة يوقظ صريرها أمى فزعة من نومها فتسرع إلينا مخافة أن يصحو أبى ، ومثل الدجاج تعود بنا إلى القفص ثانية . وكم كنت أستمتع حين أتربص لأبى وراء أحد الأبواب ، وأنتظر دخوله وأصيح : هوْو . فيقفز من مكانه والشتيمة تسبقه ويبدأ الركض ورائى ، ولكنه لم يمسك بى مرة واحدة فقد كانت الأبواب تساعدنى على الفرار منه .

مرت الأعوام ، وانتفخت بطن أبى ، وازداد صمته ، فبدأت أقلده وأصبحت طفلة صامتة ، وحلمت أن أتزوجه ، ثم كبرت وحلمت أن أتزوج برجل وقور مثله ، مغلق مثل باب . ولكنه كان يمنحنى نظرة حلم ، عشقتها وأنا صغيرة ، فهى كوة بابه الوحيدة التى يتسرب منها الضياء .

وعندما ازداد عددنا واحتجنا للمزيد من الحجرات ، بنى أبى ثلاث حجرات تتصل الواحدة بالأخرى فوق سطح الدار . واحدة ببابين والأخرى بثلاثة ، وأصررت أن تكون الثالثة حجرتى بباب واحد ولكنه رفض وجعلها ذات بابين تفتح على حجرة أخرى .

ازداد صمت أبى مع الأعوام ، ولم أعد أحلم بالزواج من

رجل يشبهه بل رثيت لأمى حظها . وضايق هذا الصمت من فى البيت ، وما عاد أبى يخرج صوته إلا فى صيحات غاضبة تتناثر بين الأيام الصامتة الطويلة ، ويطلق فى نومه أصواتا خائفة ، ينادى فيها أمه المتوفاة . وكنت أبكى كثيرا وأتمنى لو أتحول إلى أمه لأهدّىء خوفه . ويعود فى الصباح إلى الرجل الصارم الذى يقضى معظم يومه خارج البيت ويعود صامتا فى الليل .

أورثنى أبى صمته ، وأصبحت مثله بابا مغلقا يغرى الآخرين باقتحامه وظل بابى الذى يفتح على غرفة أخواق مغلقا ، تزعجنى الأصوات التى تتسرب عبره إلىّ .

بنى أبى بيتين صغيرين يساعدنا موردهما فى المعيشة ، واصطحبنى معه لرؤ يتهما قبل أن يسكن فيهما أحد . ضحكت واستغرب ضحكتى هو ، فقد جعل أبى للبيت خارجين . باب أمامى والآخر خلف الباب ، وجعل للحجرات جميعا أكثر من باب واحد .

سكنت عائلة طيبة أحدهما ، وجاءت امرأة بدت لأبى مسكينة تعيش مع أخت لها ، ولها زوج يعيش فى الخارج ، رق أ بى لحال المرأة وأجر لها البيت .

ارتاب الجيران فى هذه المرأة . أخبروا أبى بذلك

أجاب أبى ربما أقارب . شكوها مرة أخرى ، فأجاب : ربما أصحاب وفى الثالثة قال لهم إن بعض الظن إثم .

وفوجىء أبى بمكالمة تقول إن الشرطة قد داهمت البيت بعد مراقبة له ، ولكن المرأة استطاعت أن تهرب من الباب الخلفى .

صمت أبى ولم ينبس بكلمة واحدة طوال يوم كامل . جلس فى مكانه المعتاد على الأريكة محدقا فى الفراغ أمامه ، لا يرى منا ، يحرك يده كأنما يتساءل ، ومرة يعاتب نفسه ويلومها ، وأخرى يرتسم على وجهه تعبير رضا لرجل طيب .

عاش أبى فى كابوس لازمه أياما تردد فيه على مركز الشرطة ، وهو يلعن اليوم الذى جعل فيه للبيت بابين .

بغداد : محاسن عبد القادر

ARCHIVE
http://www.al-mostafa.com

مسرحية

أحـــــلام المـــــوتى

مسرحية فى أربعة مشاهد

أحمد دمرداش حسين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرئيس : رئيس سابق لإحدى جمهوريات العالم الثالث ، أطاح به انقلاب قادَهُ رئيس أركانه .

زوجة الرئيس

وزير الأمن : وزير الداخلية فى عهد الرئيس السابق .

الابن : ابن الرئيس .

الابنة : ابنة الرئيس .

الصحفى :

المنظر : صالة استقبال فى فيلا . . الأثاث من طراز فرنسى فاخر . على يمين المنصة مكتب خلفه مكتبة . على المكتب حامل ذهبى يحمل عدة تحف أثرية . . أمام المكتب أنتريه . دخول وانصراف الممثلين يتم من على يسار المنصة ، بجوار هذا المدخل مدفأة ، يحيط بها أنتريه آخر . . على المدفأة صورة نصفية للرئيس بثياب الماريشاليه . مجموعة من التحف الأثرية متناثرة بالمكان . الخلفية سلم يتوسطه بساط ويفضى إلى حجرات النوم .

(تدخل زوجة الرئيس بادية الانفعال وخلفها وزير الأمن) .

زوجة الرئيس : لا أجد مبرراً لاصراره على هذا الصحفى الذى يكنّ لنا مرارة لاحد لها ! (تلتفت إليه) هل اكتشفتم فيه ضعفاً غاب عنكم هناك ؟ . . حين كان بين أيدكم ألم تجربوا معه كل الوسائل ؟

وزير الأمن : كل الوسائل . . من الاغراء بالمنصب إلى المعتقل الذى لا يقرب نزلاءه النوم

زوجة الرئيس : كم ظل فيه ؟

وزير الأمن : عشر سنين .

زوجة الرئيس : وخلال هذه الفترة ؟ .

وزير الأمن : ازداد عناده ! .

زوجة الرئيس : إذن ، لماذا نحاول معه من جديد ونحن بعيدون عن السلطة ؟

وزير الأمن : بعد حدوث الانهيار صار بطلاً شعبياً .

زوجة الرئيس : (متوجهة نحو المكتب) ببرود تتحدث عن الانهيار وكأنك غير مسؤول عنه ! .

وزير الأمن : تعلم سيدتى أن جهازى لم يقصر . . ولولا التمويل الخارجى ما . .

زوجة الرئيس : (بإشارة مقاطعة) لا تتصور أننى سأبتلع أسطورة التمويل الخارجى بشهيّة غرور الرئيس . . الذين أحاطوا بالقصر ــ فى تلك الليلة المشؤومة ــ كانوا عُرايا إلا من الجوع فأين ذهب التمويل الذى تترنم به ؟! (بنبرة ساخرة) لعلهم أخفوه فى تراب الحوارى ثم أسرعوا يحطمون أسوار القصر ! .

وزير الأمن : (بنبرة ذات مغزى) تحوُّلُ الجوع إلى ظاهرة عامة ليس مسؤوليتى وحدى !
(تتناول الزوجة قطعة أثرية من فوق الحامل وتشرع فى تأملها) .

زوجة الرئيس : (وهى تتأمل القطعة) بعد الانهيار صار الصحفى بطلاً شعبياً ! (تنظر إليه) ما جدوى هذه البطولة بالنسبة لنا ؟ .

وزير الأمن : شهادته بصحة وثائق مذكرات الرئيس ، ستجعل من الصعب على رئيس الأركان الخائن تكذيبها . . وتأكده من صحتها سيغير من موقفه المؤيد للنظام المتمرد . .

زوجة الرئيس : (بفزع) هل أفهم من هذا أن ما سينشر هو الوثائق الحقيقية ؟

وزير الأمن : اختيار الرئيس لهذا الصحفى يحتم هذا . .

زوجةالرئيس : (لنفسها) الرغبة فى الانتقام أفقدته اتزانه ! (يتصاعد صوتها) النيل من سمعة رئيس الأركان من خلال الحقيقة سيؤدى فى النهاية إلى تدمير سمعته هو الآخر ! .
(بخطوات صامتة يدخل الابن مرتدياً بدلة طيران وبيده الخوذة الخاصة به) .

وزيرالأمن : منذ خروجنا والهجوم على سمعة الرئيس لم يتوقف . . المهم هو النيل من سمعة رئيس الأركان . . ولو توصلنا إلى هذا فإنه سيؤدى إلى حالة من الفوضى ، والفوضى بالنسبة لنا هى الطريق الأقصر للعودة . .

الابن : (بنبرة مستخفة) العودة إلى أين ؟

زوجة الرئيس : (بنظرة مستنكرة) إلى أين ؟ . . إلى الوطن ! .

الابن : الوطن ! (يتقدم نحوها) هل مسّت هذه الكلمة شفتيك قبل الآن ؟

زوجة الرئيس : كثيراً !

الابن : (وهو يجلس) لم أسمعها . .

زوجة الرئيس : (بغضب) وكيف يتأتى لك سماعها أو سماع سواها وأنت دائم التحليق بطائرتك ؟! (بتأثر) حتى دوى سقوطنا لم تسمعه ! .

الإبن : (بابتسامة شاحبة) سقوطنا كان بلا دوىّ فقد جاءت السقطة على تل من الدولارات ! (يشير بامتعاض إلى وزير الأمن) السيدة فى حاجة إلى مستودع الغاز المسيل للدموع ؟ (يشيح بوجهه) أنفاسى لا تحتمله طويلاً . .

زوجة الرئيس : (لوزير الأمن) انصرف ، وأحط الأصدقاء علماً بما سيقدم عليه الرئيس . .
(ينحنى الوزير ثم يشرع فى الانصراف) .

الإبن : (وعينه تتبعه) لو كان لأمثاله أية فائدة لأمثالنا ما طردنا . (يحدق فيها) لماذا تصرّون على الاحتفاظ به ؟ مكانه المناسب هو المتحف !

زوجة الرئيس : (بنبرة عاتبة) أكثر الناس وفاء لأبيك ، لا يستحق منك هذه السخرية ! .

الإبن : بل أكثر الناس وفاء لطموحه . . وجوده بجوار الرئيس يضفى عليه ما يجعله قادراً على مساومة أطراف عديدة . . إنه . .

زوجة الرئيس : (بحركة من راحتها) دعنا منه (يرق صوتها) ألا تشعر بالحنين إلى هناك ؟

الإبن : (تتصلب ملامحه) لم أعرف « هناك » ياسيدتى حتى أشعر بالحنين إليه !

زوجة الرئيس : (بتأثر) إنها أرض الأجداد !

الإبن : (مشيراً إلى القطع الأثرية) ها هم الأجداد يحيطون بك . . فماذا تريدين أكثر من هذا ؟

زوجة الرئيس : (وقد قسا صوتها) لم يوجد بعد الشىء الذى ينسينا أرض الأجداد . .

الإبن : سيدتى . . بمقدورى أن أصف لك بدقة أى ضاحية تختارين من باريس أو جنيف (يشيح بوجهه) لكن أرض الأجداد ــ التى تؤرقك ــ لا أذكر منها ما يتجاوز أسوار القصر وصفوف الحرس ! .

زوجة الرئيس : (وراحتها تحط على راحته) والأصدقاء ؟ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الإبـــن : (ساحباً راحته) زوجة الرئيس تهين ذكائى ! . . لقد كان دوماً يميز بين تجرد الصداقة والافتعال المحدق فيما يمكن أن تمنحه أيدينا . .

(ينهض ويستقبل الابنة التى تهبط درجات السلم ببطء) .

الإبـــن : (بانحناءة) الفتنة الشاحبة تتهادى ! .

الابنة : الإطـراء ـ للأسف ـ لا يـأتينى إلا من أخى !(بابتسامة)متى جئت ؟ .

الابـــن : الآن . .

الابنة : ومتى ستحلّق ؟

الابـــن : الآن . .

الابنة : ألم يحن الوقت لتفى بوعدك ؟

الابـــن : (وهـو يتناول راحتهـا) لو تـوافق زوجة الرئيس ، نحلّق اليوم سويا . .

زوجة الرئيس : (بحزم) لا . . قلبها لن يحتمل طيرانك المجنون ! .

الابنة : سيدتى . . رغم تلاحق الرصاص والفزع خرجتُ من الهليكوبتر سالمة !

زوجة الرئيس : (بتأثر) سالمة ولكن بوجه ميّت يـأبى أن يفارق أحلامى ! .

الابنة : (وهى تجلس بتهدم) مادام الموت يواصل زحفه . فدعينى أمشى نحوه بدلاً من أن أشقيه ويضنينى ! .

الإبـــن : (بغضب) دعيها ولو لمرة واحدة تفعل مـا تـريـد . . إلى متى ستـظل أسيـرة لأوامرك ؟

زوجة الرئيس : (بخفوت) إنها أسيرة قلبهـا الـواهن ! (تضع رأسها بين راحتيها) رأسى لم يعد يحتمل المزيد . . حلّق بطائرتك ودعنا . . (برهة صمت ، تمر بعدها راحته بحنو على شعـر أخته ، ثم يتنـاول الخوذة من عـلى المكتب وينصرف) .

زوجة الرئيس : (ورأسهـا مـازال بـين راحتيهـا) كيف أصابك هذا الداء ؟

الابنة : (ساهمة)إنه الشىء الذى لا يخيفه حراس ولا ترده أسوار . .

زوجة الرئيس : (ناظرة إليهـا) لو تعـرفين كم أعـانى من أجلك ! .

الابنة : (مشيحة بوجهها) السيدة الأولى لا تتذكر ما بى إلا حينما أمر أمامها . .

زوجة الرئيس : (بتأثر) أرجوك . . إزائى لا تدعى هـذه القسوة تلامس شفتيك . .

الابنة : (ناهضة) إنها الحقيقة . .

زوجة الرئيس : (بحنو) اقتربى . .

(تتحرك الابنة وتقف بجـوارهـا . . تنهض وتمر بشفتيها عـلى خد الابنة)

الابنة : (وراحتها على خدها) من زمن لم تفعـل هذا ! (تولى ظهرها للأم) لن أرفع راحتى عن هذا الخد . .

(ثم تهـرول خـارجـة . . تجلس السيـدة الأولى وتظل متصلبة برهة ، ثم تمتد راحتها وتلتقط قطعة أثرية من على الحامل ، تشرع فى تـأملها وشيئـاً فشيئاً يـزول تأثـرها . . يـدخل الـرئيس بادى العصبيـة ، شديـد النحول) .

الرئيس : (بـانفعال وهـو يجلس) الخـائن يقـذفنى بأحذيتك ! .

زوجة الرئيس : أحذيتى ؟

الرئيس : تلال . . تلال من الأحذية يعرضونها على الجُوَّعَى دليلاً على إسرافك !

(وراحتـه تهتز فى الهـواء) ماذا . . مـاذا كنت ستفعلين بكل هذه الأشياء ؟

زوجة الرئيس : (ببـرود) السيدة الجـديدة مشغـولة الآن باقتناء نفس الأشياء . .

الرئيس : ومـاذا ستفعـل هى الأخـرى بكـل هـذه الأحذية ؟

الزوجة : غداً نقذفه بها . .

الرئيس : (بحقـد) سأقـذفه بهـا وبداخلهـا أقدام (موجها سبـابته نحـوها) اصـرارك عليه جعلنى أبدأ من جديد ! (وراحته تصفع سطح المكتب) ممشوق . . رائع . . نظرته لا ترتفع عن مستوى أقدامى ! .

الزوجة : لم يكن اختيـارى وحدى ! . . التقـاريـر جعلته فى مقدمة المرشحين للمنصب . .

الرئيس : (ناهضاً بعصبية) ملعونة التقارير وكتابها ! (يقترب منها) لقد ثبت أنها مرآة تعكس رغباتنا المعلنة والخبيئة ! (يستدير ويتحرك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مبتعداً) كَتَبة يسطرون ما نريد ونصرّح به ، وفى نفس الوقت حواة يستشفون ما نريد ولا نصرح به !

(يلتفت إليها بحدة) تلال ، تلال من الأحذية والحقائب ! . . ماذا كنت ستفعلين بكل هذه الأشياء ؟ .

الزوجة : (بشىء من الحزم) هذا الأسلوب لن يفضى بنا إلى شىء ! .

الرئيس : (مشيحاً براحته) وإلى أين أفضى أسلوبك ؟

الزوجة : (مشيحة بوجهها) لقد أدمنتَ إلقاء المسؤ ولية على أكتاف الآخرين !

الرئيس : (مربتا على كتفيه) وعند الانهيار لم تجدوا سوى كتفىّ تحتمون بهما . .

الزوجة : كنت تدافع عن حياتك . .

الرئيس : (جالساً بتهدم) وحياتكم أيضا ! .

(برهة صمت تتناول خلالها إحدى القطع الأثرية وتنهمك فى تأملها بواسطة عدسة) .

الزوجة : (وهى تتأمل القطعة) من وقع عليه اختيارك قد يرفض مساندتك . .

الرئيس : تقصدين الصحفى ؟

الزوجة : أجل . .

الرئيس : أنا لا أطلب منه مساندتى ! . . ولكن مساندة الحقيقة التى سجن من أجلها طويلاً . .

الزوجة : (وهى تضع القطعة وتتناول أخرى) ورغم هذا قد لا يحضر . . فالذى عاناه على أيدينا شىء لا ينسى بسهولة . .

الرئيس : لا أعتقد . . الصحفى الذى لا يمارس الأكاذيب تجذبه الحقيقه إلى حيث تكون . .

الزوجة : (ناظرة إليه) نشر المذكرات سينال منك بقدر ما ينال من سمعة رئيس الأركان ! .

الرئيس : ورغم هذا سأعود . .

الزوجة : أسرار صفقات السلاح ستدمر كل جسور العودة . .

الرئيس : (نافراً من جلسته) معجزتى أننى عائد بلا جسور . . بخطوة واحدة يسددها القدر سأعود (وهو يتحرك أمامها بعصبية) عائد أنا ، فالحكم قدرى ، ودورى هناك لا ينتهى إلا بموتى . . أنا لا أدبر شيئاً ! ولكننى أطيع همسات القدر التى تحفّ بى أينما ذهبت (يتوقف وينصت) ها هو ذا يهمس لى بما سوف يجعل كل فرد من شعبى يمشى بلا خوف ، يأكل بلا معاناة ، يعالج قبل أن يسحقه الألم (يستأنف تحركه) لن يسمح القدر لأحدٍ بأن يحول بينى وبين ما يريد . . وأنا بدورى لن أسمح لأحد بأن يشاركنى ما خصّنى به (يلتفت إليها) حتى أنت ! . . دورى هناك لم يعد يحتمل أن تحتل امرأة رأسى ! (يستأنف تحركه . . تقف وتشرع فى الانصراف بهدوء) طاغية ولكن سأعود . . لص ولكن سأعود . . ومن يأبى على هذا فليعلم يقينا أنه يواجه قوى لارد لها (يتوقف ثم لنفسه بخفوت) أحذية . . حقائب ! . . (يستدير إلى حيث كانت تجلس) ماذا . . ماذا كنت ستفعلين بكل هذه الأشياء ! (يتحرك الستار ببطء . . بنبرة متأسية) إصرارك عليه جعلنى أبدأ من جديد ! . . كلماتك التى طغت آنذاك على همسات القدر مازلت أذكرها : ممشوق ، رائع . . استعداده للخضوع لا تخطئه العين . . كلما صادفته لا ترتفع نظرته عن مستوى أقدامى ! .

ســـتار

المشـــهد الثانـــى

المنظر :

نفس المنظر :

(تدخل زوجة الرئيس وخلفها وزير الأمن حاملاً صندوقاً . . يتقدم ويضعه على المكتب ، ثم يخرج منه نسيجاً خاصاً بحفظ التحف) .

وزير الأمن : (وهو يقدم لها النسيج) قمة البراعة أن تفكر سيدتى فى هذا الإجراء !

زوجة الرئيس : (وهى تغلف إحدى القطع الأثرية) عينا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا الصحفى عدسات تلتقط كما تراه (تحدق فيه) ألم تقل هذا عنه ؟

وزير الأمن : أجـــل . .

زوجة الرئيس : (بابتسامة شاحبة) ليس فى الأمر إذن براعة ! (بأسى وهى تناوله القطعة) جسر العودة ــ الذى شرعتم فى مده ــ لن يحتمل المزيد من الرذاذ !

وزير الأمن : لو تحطَّمَ سنعود بلا جسور . . إننا . .

زوجة الرئيس : (بغضب) حذار أن تردّد هذا على مسامعى مرة أخرى ! . ما يشنف أذن الرئيس لا يطربنى ! .

وزير الأمن : (بشبه انحناءة) عفوا . .

زوجة الرئيس : (وهى منهمكة فى تغليف إحدى القطع) أبلِّغت الأصدقاء بما سيقدم عليه الرئيس ؟ .

وزير الأمن : بأدق تفاصيله . .

زوجة الرئيس : والـــرد ؟

وزير الأمن : لم يصل بعد . .

(فى صمت يستأنفان جمع القطع الأثرية ، ثم ينصرفان . يدخل الرئيس مرتدياً بدلة الماريشالية وتحت إبطه عدة ملفات . . يتحرك جيئة وذهاباً أمام المكتب ، ثم يجلس خلفه ويظل برهة متصلبا) .

الرئيس : (مخاطباً الفراغ وهو يربّت على الملفات) كل ما فيها مدعوم بالوثائق . (موجها سبابته للفراغ) ولكن هذا لا يعطى لأحد الحق فى إدانتى أو محاولة انهاء الدور الذى أعدّه لى القدر (بكبرياء) ومن يحاول هذا فليعلم يقينا أنه يواجه قوى لا يملك بشر أن يتصدّى لها (بخطوات صامتة يدخل وزير الأمن) طاغية ولكن بخطوة واحدة يسددها القدر سأعود . .

وزير الأمن : فخامة الرئيس . .

(برهة صمـــت) .

الرئيس : (بخفوت دون أن ينظر إليه) من الذى بيده إنهاء دورى ؟

وزير الأمن : المـــوت . .

الرئيس : (ناظراً إليه) من الذى بيده إنهاء دورى ؟ .

وزير الأمن : الموت والموت وحده . .

الرئيس : ماذا تريد ؟

وزير الأمن : (بشبه انحناءة) انتظاركم للصحفى أمر يتنافى مع البروتوكول! .

الرئيس : (نافرا من جلسته) ومن قال إنه سيجدنى فى انتظاره !

(ينصرف الرئيس وخلفه وزير الأمن . تهبط الابنة السلم . . تقف فى منتصف المنصة وتتأمل الأماكن الشاغرة للقطع الأثرية . . تتقدم ساهمة نحو حامل التحف الموضوع على المكتب وتلامس أناملها رفوفه الشاغرة . يدخل خادم وخلفه الصحفى) .

الخادم : (مشيراً إلى مقعد) تفضل سيدى . .

(ينصرف الخادم) .

الصحفى : (قبل أن يجلس) الآنسة تبدو مختلفة عن صورها !

الابنة : (بجفاف) أكثر شحوباً ؟

الصحفى : (بابتسامة) بل أكثر براءة .

(يجلس ، برهة صمت تتفحص عيناه خلالها المكان) .

الابنة : (وقد أولته ظهرها) لقد تصورت أنهم لن يسمحوا لك بالمجىء ! .

الصحفى : قدر من الحرية يأتى دوما مع التغيير . .

الابنة : (مستديرة إليه) وهل ستستمر هذه الحرية ؟

الصحفى : استمرارها أمر لا أملك تأكيده . . ولكن المؤكد عن الحرية ، أنها تستمر وتنمو إذا بلغت الحد الذى يمكنها من الدفاع عن نفسها . .

الابنة : (بتحد) لماذا جئت ؟

الصحفى : نداء الحقيقة بالنسبة لى شىء لا يقاوم . .

الابنة : (مشيحة بوجهها) واستخدام القلم فى تمزيق من أساءوا إلى الصحفى ، شىء أيضا لا يقاوم . .

الصحفى : إننى بشر . . وأكذب لو قلت إننى الآن لا يخالطنى شىء من الكراهية . .

الابنة : (ملتفتة إليه) وعند الكتابة ستملى عليك الكراهية وحدها كل ما تكتب . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصحفى : لا . . الكتابة عندى تبدأ عندما يتغلب دافع إقرار الحقيقة بداخلى على كل أهواء الذات . .

صوت وزير الأمن فخامة الرئيس . .

(يدخل الرئيس وخلفه وزير الأمن . . ينهض الصحفى) .

الرئيس : (وهو يصافحه) لقد تأخر هذا اللقاء كثيراً ! (وراحته على كتف الصحفى) أرجو ألاّ تدفعك مرارة الماضى إلى الجانب المعادى للحقيقة . .

الصحفى : حضورى إلى هنا يعنى أننى مازلت حليفها . .

(يتقدم وزير الأمن ويمد راحته للصحفى ، يشيح الأخير بوجهه)

الرئيس : (بغضب) أتفعل هذا فى حضرتى ؟

الصحفى : (وهو مازال مشيحاً) تحت أظافره مازالت بقايا من دمى ! .

الرئيس : (وقد تناول راحة الوزير) تبدو لى أنظف بكثير من أيادٍ قبّلتها قبل أن تأتى ! .

الصحفى : (ملتفتا إليه بأنفة) لا أذكر أنى قبلت يدك وقتما كنت هناك !

الرئيس : (بانفعال) انصرفوا ودعونا . . انصرفوا جميعاً ودعونا وحدنا . .

(ينسحب وزير الأمن والابنة . . يتقدم الرئيس ويجلس خلف المكتب . . يجلس الصحفى) .

الرئيس : (بعصبية) لقد أهنت أكثر الناس إخلاصاً لى ! .

الصحفى : (ببرود) إخلاصه لشخصكم لا يجعلنى مديناً له بشىء . .

الرئيس : (وقد ازدادات عصبيته) أسلوبك هذا لن يفضى إلى التعاون ! .

الصحفى : لم أحضر للتعاون ولكن بحثاً عن الحقيقة ! .

الرئيس : (صافعاً الملفات) الحقيقة هنا ومدعومة بالوثائق . . صفقات السلاح تدين الخائن باللصوصية (يزيح الملفات نحوه) خذها . . انشرها (يوجه سبابته نحوه) ولكن حذار أن تفكر فى إدانتى أو التصدى للدور الذى أعده لى القدر ! (يشير إلى نفسه بهياج) طاغية ولكن بخطوة واحدة يسددها القدر سأعود قريباً (يشير له بالنهوض) انهض . . انهض وأدِّ يمين الولاء لرئيسك الذى تطاولت عليه . . انهض وأد . . انهض وسوف تنال العفو . .

(صوت نحيب . . يلتفت الرئيس والصحفى نحو مصدره فإذا بالابنة واقفة على قمة السلم . . تهرول الابنة وتختفى . . برهة صمت) .

الرئيس : (بتهدم وهو يزيح الملفات) افعل بها ما جئت من أجله . .

(ينهض الرئيس ويصعد السلم بخطوات زاحفة . يظل الصحفى متصلباً برهة ، ثم ينهض ويقترب من الملفات . . يفتح الملف العلوى ويشرع فى قراءته ، تتغضن ملامحه شيئاً فشيئاً بالاهتمام ، ثم يتحرك ويجلس خلف المكتب) .

ستار

المشهد الثالث

المنظر :

نفس المنظر .

(الصحفى منهمك خلف المكتب فى تصوير الوثائق بواسطة كاميرا . . من حين لآخر يقوم بتسجيل بعض الملاحظات فى كروت خاصة بتسجيل المعلومات . . تهبط الابنة السلم وتدنو منه دون أن يشعر بها) .

الابنة : ألم تشعر بعد بالحاجة إلى الهواء ؟

الصحفى : (بابتسامة) التهوية هنا لا بأس بها !

الابنة : لونك يشى بغير هذا (بمرارة) . الفراغ هنا لا يحوى سوى الشحوب .

الصحفى : (وهو يتأملها) عيناك يضنيهما شىء أكثر إيلاما من شحوبى ؟ .

الابنة : (وهى تدنو منه) رئيس الأركان ــ فى خطاب له ــ رماك أمس بالخيانة ! .

(برهة صمت يسترخى خلالها ظهره على مسند المقعد) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصحفى : (لنفسه بمرارة) توقعت هذا . . تهمس الوثائق بأنهم نوع من البشر باع ملامحه الإنسانية ! .

الابنة : (وراحتها على كتفه) مازال بمقدورك التراجع . .

الصحفى : وما ثمن التراجع ؟ . . حجب الحقيقة عمّن هم فى مسيس الحاجة إليها كى يبصروا (بمرارة) وإن فعلت هذا ، فما الذى يتبقى من الواقع كى يتناوله قلمى ؟ (يتصاعد صوته) لن يحدث هذا . . سأحمل الحقيقة إلى من سُلْسلت عيونهم بالأكاذيب ، وفى المقابل سأتركها تمضى بى إلى حيث تشاء . . .

الابنة : (بتأثر) سوف تمضى بك إلى الموت ! . (برهة صمت يضع خلالها رأسه بين راحتيه) .

الصحفى : (بخفوت) الآن أشعر بالحاجة إلى الهواء ! .

الابنة : نفس ما أشعر به من زمن . .

الصحفى : (ناظراً إليها) من أين ؟

الابنة : (مشيرة إلى السلم) من هنا . . (يصعدان السلم ببطء حتى يختفيا . . تدخل زوجة الرئيس بادية الانفعال وخلفها وزير الأمن) .

زوجة الرئيس : الأصدقاء يهددوننى بتدمير استثماراتى إذا لم يتراجع الرئيس ! .

وزير الأمن : لقد شرعوا فى هذا بالفعل . .

زوجة الرئيس : (ملتفتة إليه) لم ؟ ولم ينشر شىء بعد ؟ .

وزير الأمن : لقد باتوا فى غاية الحرص على سمعة الحاكم الجديد . .

زوجة الرئيس : هل يعنى هذا أنه توجه نحوهم ؟

وزير الأمن : وبانحناءة تكاد تلامس الأرض ! .

زوجة الرئيس : إذن ، لم يبق أمامنا سوى أن يتراجع الرئيس عن النشر . .

وزير الأمن : عناد الرئيس شىء لا يمكن وقفه . .

زوجة الرئيس : (وقد قست ملامحها) إذا لم يتراجع العناد فليمت (ملتفتة نحو المكتب) أين ذهب عاشق الحقيقة ؟ .

وزير الأمن : (مشيرا إلى أعلا) بأعلا . . فى حجرة السيدة الصغيرة . .

زوجة الرئيس : (بمرارة سافرة) أيفتش عن الحقيقة هناك ؟! (ملتفتة نحو السلم) كنت أظن ضعفها قاصراً على بدنها فاذا بروحها الواهنة تدفعها إلى أحضان الحثالة ! .

(محدقة فيه) تخلَّصْ من العناد ومنه قبل أن يضيع كل شىء (تشرع فى الانصراف ، ثم تتوقف وتلتفت إليه) لا أريد آثاراً تحت أظافرك . .

(تنصرف زوجة الرئيس . . يتقدم رجل الأمن من المكتب ويحمل الوثائق والكاميرا ثم ينصرف . يهبط الصحفى درجات السلم ثم يتقدم نحو المكتب . . يتصلب وتبدو الدهشة على ملامحه لاختفاء الوثائق . . يتقدم وزير الأمن وخلفه رجلان) .

وزير الأمن : فى عالم اليوم تومض الحقيقة وتخبو دون أن يلحظها أحد . .

الصحفى : (مستديرا إليه) للبشاعة إذن ألف وجه ! (بابتسامة شاحبة) لحساب من يعمل الوجه الذى يطالعنى الآن ؟ .

وزير الأمن : السلطة . .

الصحفى : (وهو يدنو منه) أيّة سلطة ؟!

وزير الأمن : (ببرود) يصعب تحديدها . . ولكن ثق بأنها الشىء الذى تتنفسه كل مخلوقات اليوم . .

الصحفى : رغم اتساع المسافة أتنفس الآن رائحة رئيس الأركان ! .

وزير الأمن : قصر المسافة بيننا وبين السلطة لم يعد الدليل الوحيد على الولاء ! .

الصحفى : أنت إذن مُوال له ؟

وزير الأمن : لمنصبه إذا توخينا الدقة المعروفة عنك . .

الصحفى : (بامتعاض) إلى متى ستظل تبيع إنسانيتك لمن يدفع أكثر ؟!

وزير الأمن : أبيع ! . . حرق ما أملكه أيها المفلس يستغرق سنين . .

الصحفى : إذن ، لم ؟ .

وزير الأمن : رهانك كان دوماً على الحقيقة ، ورهانى على السلطة . . أقل من ساعة وستعرف من منا سيبقى ومن سيزول (يلتفت إلى الرجلين) خذوه . .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(يتقدم أحد الرجلين ويضع راحته على كتف الصحفى ، بأنفة يزيحها الأخير ، ثم يتقدمه ويشرعون فى الانصراف) .

الابنة : (من على قمة السلم) انتظروا . . إلى أين انتم ذاهبون به ؟ .

(يلتفت نحوها الجميع) .

وزير الأمن : (بنبرة آمرة) لا تتدخلى فى هذا الأمر . إنها أوامر الرئيس . .

الابنة : (بفزع) ونحن معا كنت أعلم أن الموت يُطيف به ! .

(ثم تهبط السلم مهرولة ، تبطأ حركتها قرب نهاية السلم . . تتشبث بالدرابزين ثم تتهاوى بينما شفتاها تنفرجان وتنضمان . . يهرع نحوها الصحفى ، يجذبه وزير الأمن إلى الخلف بقوة) .

وزير الأمن : ألم أقل خذوه ! .

(يطوق الرجلان الصحفى ، ثم يخرجان به وهو شبه محمول . . ببطء وبملامح قاسية يتقدم وزير الأمن نحو الابنة ، ثم يحملها ويصعد بها . . تدخل زوجة الرئيس مهرولة وتصعد السلم ، تتقابل فى منتصفه مع وزير الأمن) .

زوجة الرئيس : (بفزع) ماذا ألمّ بها ؟

وزير الأمن : أزمة أشد عنفاً مما عهدناه ! .

زوجة الرئيس : استدع طبيبها . .

(ثم تستأنف الصعود مهرولة . . ببطء يهبط وزير الأمن ، ثم يتقدم نحو المكتب ويسرع فى تفتيش أدراجه وجمع ما بها من أوراق) .

زوجة الرئيس : (من على قمة السلم) إنها تنادى الرئيس . . أين هو ؟

(يتصلب رجل الأمن) .

زوجة الرئيس : (بانفعال ألم تسمع ما قلت ؟

وزير الأمن : (ببرود) سيدتى . . زلقت قدم الرئيس وهو يصطاد على حافة البحيرة . .

زوجة الرئيس : (مشيحة بوجهها) وماذا تفعل هنا ؟

وزير الأمن : ثلاثة من رجالى ألقوا بأنفسهم خلفه . .

زوجة الرئيس : (ناظرة اليه) أبلغت السلطات المحلية ؟

رجل الأمن : أجل .

زوجة الرئيس : (كمن تذكرت شيئاً) الطبيب . . أين الطبيب ؟ .

وزير الأمن : لو جاء ماشياً فإنه الآن يجتاز ممشى الحديقة . .

ستار

المشهد الرابع

المنظر :

نفس المنظر

(نعشان فى منتصف المنصة يصطف أمامهما ـ بقيادة وزير الأمن ـ أربعة رجال بملابسهم العسكرية . . فى المواجهة تجلس زوجة الرئيس مرفوعة الرأس ومتشحة بالسواد . . يدخل الابن مرتدياً بدلة الطيران وعلى رأسه الخوذة الخاصة به . . تنتصب السيدة وتهرع نحوه . . .) .

زوجة الرئيس : (بنشيج) لقد حط الموت علينا !

الابن : (بملامح متصلبة) ناديت عليه طويلاً (يلتفت نحو النعشين) فى أى منهما تحظى بالسكينة ؟

زوجة الرئيس : (تشير دون أن تنظر) هنا . .

الابن : (للرجال بامتعاض) ابتعدوا عنها . . أنفاسكم كانت دوماً شديدة الوطأة على صدرها ! .

(يتحرك الوزير وخلفه الرجال ويلتفون حول نعش الرئيس . . يتقدم الابن نحو نعش الابنة ، ثم يخلع الخوذة ويظل برهة متصلباً) .

الابن : (محدقاً فى النعش) ستحملهما طائرتى الآن إلى المدافن . .

زوجة الرئيس : (بفزع) وموعد الجنازة . . والمشيعون ؟!

الابن : (ملتفتا إليها) كم تمنت أن نحلق سويا . . قلبها الآن يحتمل الطيران (يلتفت إلى النعش ثم بتأثر يشير براحته) انصرفوا (وهو يغالب البكاء) .

انصرفوا جميعا ودعونى لحظات مع كل من أحببت . .

(يستدير وزير الأمن وينصرف وخلفه الرجال . . تتحرك زوجة الرئيس ببطء نحو الخارج بينما رأسها ملتفت نحوه) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جهة ، وبين وحدات الملابس فيما بينها ، وقاد إلى هذا الترابط نظام ضوئى كشافى ساقط من أعلا ، قاده الفنان ببراعة وإحكام . كشف هذا النظام الضوئى عن ملامح نموذجه حادة التقاطيع ، كما كشف عن علاقة إيقاعية ممتعة بين إطار الكوفية الملتف حول الرقبة والشكل الهلالى للطاقية ، ولا يترك خط الكوفية المتدلى دون أن يمنحه دوراً ، يؤكد به استمرارية الخطوط الطولية للعمارة . ربما خالف هذا « البورتريه » الأصول التكوينية . التقليدية . لهذا الفن . . بتنازله عن احتلال بعض المحاور الرئيسية للّوحة ، وترك مساحة مرموقة للعناصر المعمارية . وبدلاً من الغوص ، أو التركيز على ما يمنحه الوجه من إمكانات تعبيرية ، وتكوينية ، أراد أن نتوقف عند جذره الاجتماعى . فهو يبد أن نعرف أن بطل لوحته ينتمى إلى بيئة معينة ، وربما طبقة معينة . وعلى الرغم من اختلافه ، أو بمعنى آخر ، اختلاف نماذجه طبقياً مع نماذج أعلام هذا الفن فى مصر ، فإنه يشترك معهم فى قناعة « التفسير من الخارج » .

[المنظر الطبيعى . . والخيار الرمادى !]

إن ميل « زهران سلامة » إلى الكتلة جعله يزهد فى الاستعراضات اللونية ، التى يتعلق بها الفنانون التأثريون . هذا كان من الطبيعى أن ينجذب إلى الأشكال المعمارية فى البيئات المختلفة التى تجوّل فيها . . حتى ما تميز منها بالتكدس السكانى كحى الحسين . إن الفوضى السكانية والفوضى المعمارية الطفيلية فى هذا الحى تقلّل كثيراً من نقاء الأبنية التاريخية . . وربما لهذا السبب نراه يخفّض من هذا الزحام . . بل يجعله شبحياً فى معظم اللوحات ، لكنه يعبّر عنه باستعارات موحية وذكية . . مثل تكدس الملابس فوق حبال الغسيل فى حارة من الحارات . . أو تكدس قطاع معمارى . غير أنه يشعر أحياناً بضرورة وجود زحام بشرى مباشر . . كما فى لوحة (سوق الغنم بالأقصر) . . ففى هذه اللوحة ومثيلاتها يعود إلى مراجعه المسجّلة (والمراجع هنا هى صور فوتوغرافية التقطها بنفسه) يختار منها ما يناسب الغرض . . والغرض هنا غرض توثيقى أكثر منه جمالى .

على الرغم من أننى لا أتعاطف مع اللوحة التى يكون كل دورها هو الاحتفاظ بصورة من عبثية الواقع المرئى وفوضاه ، فقد تعاطفت مع عدد من اللوحات فيها إضافة طريفة . ففى لوحة بعنوان (غسيل يوم الجمعة) جعل من الملابس المنشورة على حبال الغسيل ، والتى تغطى مسطحات عمارات الحارة ، مهرجاناً تشكيلياً . وتابع حركة النور والظلال متابعة جيدة ، وسمح لأسلوبه الزاهد فى اللون أن يلّون ، فظهرت بعض اللمسات المحملة بألوان صريحة ، كما نجح فى التقاط بعض المفارقات الكاشفة فى العلاقة بين بيوت « سيوة » بكياناتها المغلقة الشبيهة بالصناديق ، ونسائها المنقبات . . كما فى لوحة بعنوان (بيوت وسيدات سيوه) . . فقد ترك لسيدات ثلاث مساحة مرموقة فى الثلث السفلى من اللوحة . يسرن فى طابور . يتجهن إلى هدف واحد . . هو أقرب باب للاختفاء عن العيون !

إن « كتل » البيوت التى تتجه إليها « أشكال » السيدات تبدو رغم رماديتها مضيئة ، ودافئة ، بتدخل اللون الوردى الشاحب ، وتغرى تلك الأشكال البشرية ــ النحتية . . بأمنيات الأمان والدفء . ولكى يجعل هذا الشحوب الوردى ملجأ للدفء حاصره من جانب من جوانب اللوحة بالرمادى الضارب إلى الزرقة . إن تلك اللوحة تكشف ، بالإضافة إلى الحلول التكوينية الذكية . . عن فهم لجانب من جوانب هذا الواقع الذى تشكل فيه المرأة أهم مَعْلم من معالم التخلف ؛ فالنساء يسرن جماعات مكفّنات بالسواد . لا مكان لهن إلا تلك اللحظات الخاطفة ، يفزعن فيها من مكان إلى آخر ، كالطيور الخائفة . لكن . . لأن طبيعته الفنية تنبذ الانفعال العنيف ، فقد أراد لنا ألا نغادر لوحته دون أن نبتسم . . فجعل أشكال نسائه أقرب إلى أشكال الدببة !

[التخلص من الهوامش]

كان ظهور العنصر الإنسانى فى معظم لوحات المناظر الطبيعية هامشياً ، لهذا لم يفاجئنا عندما نخلص منه نهائياً فى لوحات « المسافرخانة » ، وتوقف عند حدود التأمل الجمالى للمكان : العقود . الأعمدة . الفضاء المعمارى .

إيحاء الضوء الصافى ــ ولقد صاحبته ألوانه المتقشفة ، كما دفعه الميل إلى استخلاص القيم الخطية ــ والكتلية . . إلى الزهد فى التفصيلات الزخرفية والملمسية . . وفى تقديرى . . أن التضحية بالقيمة الملمسية لهذه العمارة القادمة من أزمنة لم نعشها قد أفقدها سحر الزمن ، واقترب بها من طابع « الكارت بوستال » ؛ فأنت تشاهد المسطحات المعمارية نظيفة . . يندر أن تجد بها ما يوحى بعوامل التعرية . ربما بلاطة هنا أو هناك قد أصابها شرخ لايصعب ترميمه ! . . غير أنه يحتفل بتلك القيمة الملمسية فى لوحة بعنوان [أحجار مقدسة] وتمثل كتلاً حجرية متراصة ، ويبدو على البعد أحد المعابد . لقد نجح فى تلك اللوحة نجاحاً مرموقاً فى تصوير ملامس الأحجار ، كما أوحى بالجهد الإنسانى فى تهذيب تلك الكتل الضخمة . . كما تضمر اللوحة رسالة إعجاب بالإنجاز المصرى القديم . إن « زهران سلامة » يطالعنا رغم تنوّع موضوعاته بوجه واحد : الحرص على رؤية الأشياء فى حجمها الطبيعى ؛ لا مبالغات من أى نوع . لا مكان فى لوحاته لطغيان الحزن أو الفرح . . بينما تُفتح كل الأبواب أمام الاتزان الرمادى !

القاهرة : محمود بقشيش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com